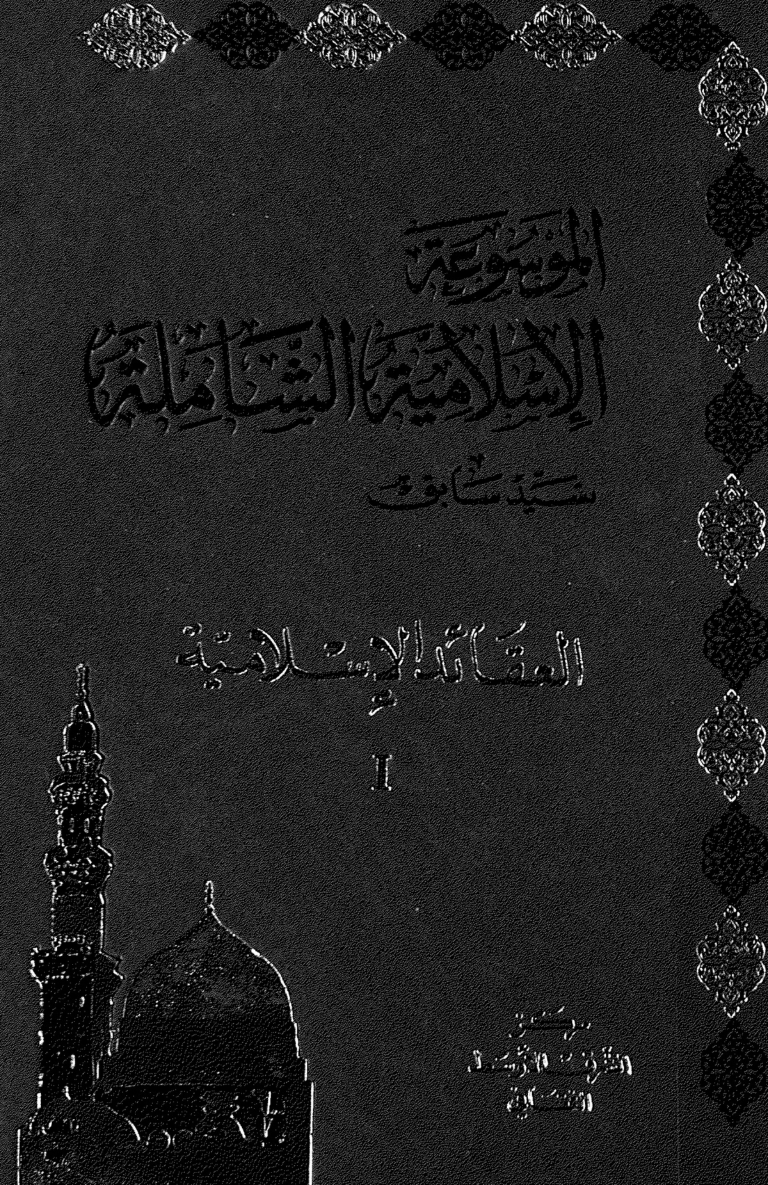

الموسوعة
الإسلامية الشاملة
سيد سابق
العقائد الإسلامية
1
نشر
الفتح للإعلام العربي
القاهرة

الموسوعة الإسلامية الشاملة



العقائد الإسلامية

I

السيد سابق

مركز الشرق الأوسط الثقافي

الطبعة الأولى

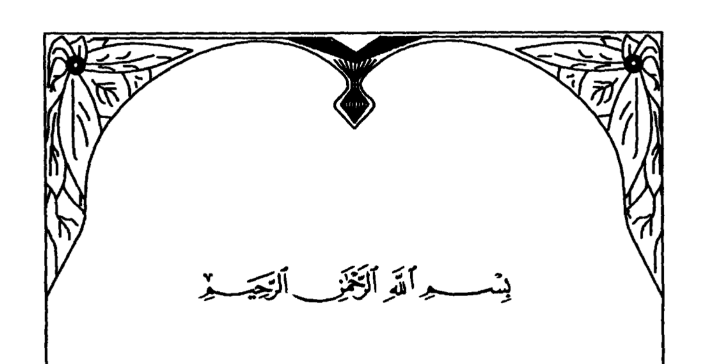
Middle East Cultural Center
مركز الشرق الأوسط الثقافي

For Printing, Publishing, Translating & Distributing
للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع

General Management:
الإدارة العامة:

بيروت ـ الحدث، هاتف: ٨٨٨ ـ ٤٦١٧٧٧ ـ ٥ ـ ٩٦١ ـ فاكس: ٤٦١٩٩٩ ـ ٥ ـ ٩٦١ ـ خليوي: ٦٤٠٤٩٠ ـ ٣ ـ ٩٦١
مصر ـ الدقي، هاتف: ٠٠٢٠٢٣٣٦٥١٥٢ ـ خليوي: ٨٨ ـ ٧٧ ـ ٦٦ ـ ٠٠٢٠١٨٢٥١١١٥٥
سوريا ـ دمشق، هاتف: ٠٣٠ ـ ٠٢٠ ـ ٠٠٩٦٣١١٤٦٤٤٠١٠ ـ خليوي: ٩٦٣٩٤٩٩٧٧٦٤

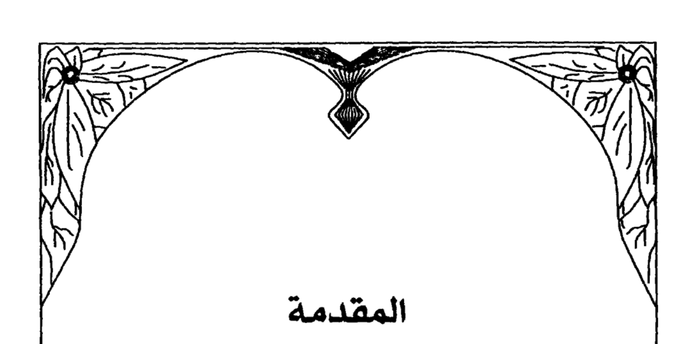
Beirut - Hadath, Tel: 961-5-461777 - 888 - Fax: 961-5-461999, Mobile: 961-3-640490
Cairo - Dokki, 002023365152 - Mobile: 0020182511155-66-77-88
Syria - Damascus, 00963114644010 - 020 - 030 - Mobile: 96394997764
Web site: www.lccpublishers.tk **E-mail: lcc_ pub @ yahoo.com**



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

(صدق الله العظيم)



المقدمة

* الإسلام إيمان وعمل.
* مفهوم الإيمان.
* وحدة العقيدة.
* لماذا كانت العقيدة واحدة وخالدة؟
* منهج الرسل في الدعوة إلى الإيمان.
* الإنحراف عن منهج الرسل وأثره.
* ضرورة العودة إلى تجديد دعوة الإيمان.

□ الإسلام إيمان وعمل:

إسلام هو دين اللّه الذي أوحاه إلى محمد صلوات اللّه وسلامه عليه، وهو إيمان وعمل:

- والإيمان يمثّل العقيدة والأُصولَ، التي تقوم عليها شرائِعُ الإسلام، وعنها تنبثق فروعه.

- والعمل يمثل الشريعة والفُرُوعَ، التي تعتبر للإيمان والعقيدة.

والإيمان والعمل، أو العقيدة والشريعة كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط الثمار بالأشجار، أو ارتباط المسبّبات بالأسباب، والنتائج بالمقدمات.

ومن أجل هذا الترابط الوثيق يأتي العمل مقترناً بالإيمان في أكثر آيات القرآن الكريم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[٢].

□ مفهوم الإيمان أو العقيدة[*]:

ومفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم ستة أمور:

أولاً: المعرفة بالله، والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والمعرفة بدلائل وجوده، ومظاهر عظمته في الكون والطبيعة.

ثانياً: المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة، أو العالم غير المنظور، وما فيه من قوى الخير التي تتمثل في الملائكة، وقوى الشر التي تتمثل في إبليس وجنوده من الشياطين، والمعرفة بما في هذا العالم أيضاً من جِن وأرواح.

ثالثاً: المعرفة بكتب الله التي أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل، والخير والشر، والحلال والحرام، والحسن والقبيح.

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) سورة مريم، آية: ٩٦.

(*) العقيدة هي التصديق بالشيء والجزم دون شك أو ريبة. فهي بمعنى الإيمان. يقال: أعتقد كذا أي آمن به. والإيمان بمعنى التصديق. يقال: آمن بالشيء أي صدق به تصديقاً لا ريب فيه ولا شك معه.

رابعاً: المعرفة بأنبياء اللّه ورسله الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى، وقادةَ الخلق إلى الحق.

خامساً: المعرفة باليوم الآخر، وما فيه من بعث وجزاء، وثواب وعقاب وجنة ونار.

سادساً: المعرفة بالقدر الذي يسير عليه نظام الكون في الخَلْق والتدبير.

□ **وحدة العقيدة:**

وهذا المفهوم للإيمان، هو العقيدة التي أنزل اللّه بها كتبه، وأرسل بها رسله، وجعلها وصيته في الأولين والآخرين.

فهي عقيدة واحدة، لا تتبدل بتبدّل الزمان أو المكان، ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقوام.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[1].

وما شرعه اللّه لنا من الدين، ووصّانا به كما وصى رسله السابقين ـ هو أصول العقائد وقواعد الإيمان، لا فروع الدين، ولا شرائعه العملية؛ فإن لكل أمة من التشريعات العملية ما يتناسب مع ظروفها، وأحوالها، ومستواها الفكري والروحي.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾﴾[2].

---

(١) سورة الشورى، آية: ١٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ٤٨.

□ **لماذا كانت العقيدة واحدة وخالدة ...؟**

وإنما جعل اللَّه هذه العقيدة عامة للبشر، وخالدة على الدهر؛ لما لها من الأثر البيِّن، والنفع الظاهر في حياة الأفراد والجماعات.

● فالمعرفة باللَّه من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة، وتوقظ حواس الخير، وتربي ملكة المراقبة، وتبعث على طلب معالي الأمور وأشرافها، وتنأى بالمرء عن مُحَقَّرات الأعمال وسَفسافها.

● والمعرفة بالملائكة: تدعو إلى التشبه بهم والتعاون معهم على الحق والخير. كما تدعو إلى الوعي الكامل واليقظة التامة. فلا يصدر من الإنسان إلا ما هو حسن، ولا يتصرف إلا لغاية كريمة.

● والمعرفة بالكتب الإلهية: إنما هي عرفان بالمنهج الرشيد الذي رسمه اللَّه للإنسان كي يصلَ بالسير عليه إلى كماله المادي والأدبي.

● والمعرفة بالرسل: إنما يقصد بها ترسم خطاهم، والتخلق بأخلاقهم، والتأسي بهم، باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة، والحياة النظيفة التي أرادها اللَّه للناس.

● والمعرفة باليوم الآخر: هي أقوى باعث على فعل الخير، وترك الشر.

● والمعرفة بالقدر: تزود المرء بقوى وطاقات تتحدى كل العقاب والصعاب، وتصغر دونها الأحداث الجسام.

وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك، وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى ـ فضلاً عن أنها حقائق

ثابتة. وهي تعد من أعلى المعارف الإنسانية إن لم تكن أعلاها على الإطلاق.

وتهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو أسلوب من أعظم الأساليب التربوية.

حيث إن للدين سلطاناً على القلوب والنفوس، وتأثيراً على المشاعر والأحاسيس، ولا يكاد يدانيه في سلطانه وتأثيره شيء آخر من الوسائل التي ابتكرها العلماء، والحكماء، ورجال التربية.

فغرس العقيدة في النفوس، هو أمثل طريقة لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملاً في الحياة، وتُسْهِم بنصيب كبير في تزويدها بما هو أنفع وأرشد.

إذ أن هذا اللون من التربية يُضفي على الحياة ثوب الجمال والكمال، ويظللها بظلال المحبة والسلام.

ومتى سادت المحبة ارتفعت الخصومة، وانقطع النزاع، وحل الوفاق محل الشقاق، وتقارب الناس، وتآلفوا، وسعى الفرد لخير الجماعة، وحرصت الجماعة على إصلاح الفرد وإسعاده.

ومن ثَمَّ تظهر الحكمة واضحة من جعل الإيمان عاماً خالداً، وفي أن اللّه لم يُخْلِ جيلاً من الأجيال، ولا أمة من الأمم، من رسول يدعو إلى هذا الإيمان وتعميق جذور هذه العقيدة.

وكثيراً ما كانت تأتي هذه الدعوة بعد فساد الضمير الإنساني، وبعد أن تتحطم كل القيم العليا، ويظهر أن الإنسان أشد ما يكون حاجة

إلى معجزة تعيده إلى فطرته السليمة؛ ليصلح لعمارة الأرض، وليقوى على حمل أمانة الحياة.

إن هذه العقيدة هي الروح لكل فرد، بها يحيا الحياة الطيبة، وبفقدها يموت الموت الروحي، وهي النور الذي إذا عمي عنه الإنسان، ضل في مسارب الحياة، وتاه في أودية الضلال.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1].

إن العقيدة مصدر العواطف النبيلة، ومغرس المشاعر الطيبة، ومنبت الأحاسيس الشريفة؛ فما من فضيلة إلا تصدر عنها، ولا صالحة إلا ترد إليها.

والقرآن الكريم حينما يتحدث عن الصالحات، إنما يذكر العقيدة في طليعة أعمال البر كأصلٍ تتفرع عنه، وكأساس تقوم عليه. يقول اللّٰه سبحانه:

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾[2].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

□ **منهج الرسل في غرس هذه العقيدة:**

وكانت الرسل تعرض على الناس هذه العقيدة، عرضاً كله السهولة والبساطة والمنطق. فتَلْفِت أنظارهم إلى ملكوت السموات والأرض. وتُوقِظ عقولهم إلى التفكير في آيات اللَّه. وتُنَبِّهُ فطرهم إلى ما غُرِسَ فيها من شعور بالتدين، وإحساس بعالم وراء هذا العالم المادي.

وعلى هذه السنن مضى رسول اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه يغرس هذه العقيدة في نفوس أمته لافِتاً الأنظار. وموجِّهاً الأفكار. ومُوقِظاً العقول، ومُنبِّهاً الفِطَر. ومُتعهِّداً هذا الغرس بالتربية والتَّنمية حتى بَلَغ الغاية من النجاح، واستطاع أن ينقل الأمة من الوثنية والشرك إلى عقيدة التوحيد. ويملأ قلوبها بالإيمان واليقين. كما استطاع أن يجعل من أصحابه قادة في الإصلاح وأئمة في الخير، وأن يخلق جيلاً يَعْتَزُّ بالإيمان. ويعتصم بالحق. فكان هذا الجيل كالشمس للدنيا والعافية للناس!

وقد شهد اللَّه لهذا الجيل بالتفوق والامتياز، فقال:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾[1].

ولقد بلغ الإيمان ببعض هؤلاء الصحابة إلى درجة قال فيها: لو كُشِفَ عَنِّي الحجابُ لَمَا ازْدَدْتُ يَقيناً.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

وفي حديث الحارث بن مالك الأنصاري رضي اللّٰه عنه ما يعطينا الصورة المشرقة لهذا الإيمان.

فقد مرّ حارثة برسول اللّٰه صلوات اللّٰه عليه فقال له الرسول:

كيف أصبحت يا حارثة؟

قال: أصبحت مُؤمِناً حقاً.

قال: انظر ماذا تقول. فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟

قال: عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا. فأسْهَرْتُ ليْلي. وأَظْمأْتُ نَهاري. وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً. وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتَضاغَوْنَ[1] فيها.

فقال: عَرَفْتَ يا حارثة فالزَمْ[2].

□ الانحراف عن منهج الرسل وأثره:

ومنذ قامت دولة التوحيد على يدي خاتَم أنبياء اللّٰه ورسله، بقيت العقيدة تستمد قدسيتها من وحي اللّٰه وتعاليم السماء، وتعتمد أوَّلَ ما تعتمد على الكتاب والسنَّة، وتتَّجِه في الدرجة الأولى إلى تربية الملكات، وإعلاء الغرائز وتهذيب السلوك، كي ترفع الإنسان إلى السمو اللائق بكرامته، وتجعل منه قوة إيجابية في الحياة.

---

(١) يتضاغون: يصرخون.

(٢) رواه الطبراني بسند ضعيف.

ثم كانت الخلافات السياسية، والاتصال بالمذاهب الفكرية والمذاهب الدينية الأخرى. وتحكيم العقل فيما لا قدرة له عليه ـ سبباً في العدول عن منهج الأنبياء. كما كانت سبباً في تحول الإيمان من بساطته وإيجابيته وسمّوه إلى قضايا فلسفية، وأقيسة منطقية، ومناقشات كلامية، أقرب ما تكون إلى المناقشات البيزنطية.

ولم يَعُد الإيمان هو الإيمان الذي تزكو به النفس، أو يصلح به العمل، أو ينهض به الفرد، أو تحيا به الأمة.

ولقد كان من أثر الخلافات السياسية، والعدول عن نهج الفطرة، والتأثر بالمذاهب الطارئة، وتحكيم العقل ـ أن انقسم حملة العقيدة إلى مدارس مختلفة، كل مدرسة منها تُمَثِّلُ لوناً معيناً من التفكير. وتسْتَأْثِرُ هي وحدها بالحق دون غيرها في زعمها، ومن لم يدخل في دائرة تعاليمها يُعَدُّ في نظرها خارجاً عن الإسلام:

فمدرسة لأهل الحديث، ومدرسة للأشاعرة، ومدرسة للماتريدية، ومدرسة للمعتزلة، ومدرسة للشيعة، ومدرسة للجهمية ـ إلى آخر هذه المدارس المختلفة المتعددة المذاهب والمتنوعة الآراء:

وكلٌّ يدَّعي وصْلاً بِلَيْلَى
وليلى لا تُقِرُّ لهم بذاكا

إذا اشتبكت دُمُوعٌ في جفون
تَبيَّنَ من بكى مِمَّنْ تَبَاكا

وأشهر الخلافات التي وسَّعَتِ الهُوَّة بين الأمة الواحدة، هو ما وقع من خلاف بين الأشاعرة والمعتزلة.

وكان أهم الموضوعات التي ثار حولها الخلاف هي ما يأتي:

(١) هل الإيمان تصديق فقط، أو تصديق وعمل؟

(٢) هل صفات اللّه الذاتية ثابتة، أو منفية عنه؟

(٣) هل الإنسان مُسَيَّر، أو مُخَيَّر...؟

(٤) هل يجب على اللّه فعل الصلاح أو الأصلح، أو لا يجب؟

(٥) هل الحسن والقبح يعرفان بالعقل أو الشرع؟

(٦) هل يجب على اللّه أن يثيب الطائع، ويعذب العاصي أو لا يجب ذلك؟

(٧) هل يرى اللّه في الآخرة. أو أن ذلك مستحيل؟

(٨) ما حكم مرتكب الكبيرة التي لم يَتُبْ منها حتى مات؟

إلى آخر هذه المسائل التي كانت مثار فرقة بين المسلمين. والتي مزقت الأمة شيعاً وأحزاباً.

ولقد كان من نتائج هذا التنازع، ومن آثار هذا الانقسام أن جنى المسلمون على أنفسهم جنايات خطيرة: فتزعزعت العقيدة في النفوس، واهتز الإيمان في القلوب، فلم يعد للعقيدة السيطرة على سلوك الأفراد ولم يبق للإيمان السلطان على تصرفاتهم.

وتَبِعَ ضعفَ العقيدة الضَّعْفُ العام في الفرد، وفي الأسرة، وفي المجتمع، وفي الدولة، وفي كل جانب من جوانب الحياة، وأخذ هذا الضعف يدِبُّ في كل ناحية، حتى أصبحت الأمة عاجزة عن النهوض

بتبعاتها، والاضطلاع بمسؤولياتها داخلياً وخارجياً، ولم تَبْقَ الأمة كما أرادها اللَّه أن تكون ـ صالحة لقيادة الأمم وهداية الشعوب.

وإذا كان سبب تخلف الأمة عن غاياتها الكبرى، هو ضعف العقيدة كان من الضروري ـ ونحن نعمل على إعادة مجد أمتنا ـ أن نسعى جاهدين في غرس العقيدة في نفوسنا، وأن نترسم الخطة التي رسمها الرسول ﷺ في تعهدها بالتربية والتنمية حتى تبلغ غايتها من القُوّة، وتصل إلى النهاية من اليقين الذي يدفعنا إلى مجد الحياة، ويرفعنا إلى أسمى درجات العز والشرف.

وهذا الكتاب ما هو إلا محاولة من المحاولات التي تبرز العقيدة، وتوضح أثرها في النفس وفي الحياة.

وقد اعتمدنا في ذلك على المصدر الأساسي للإسلام من كتاب اللَّه وسنة رسوله.

وأملنا في اللَّه عظيم، ورجاؤنا كبير في أن تلقى هذه الدراسات من الترحيب والقبول ما يُمكِّن لها حتى تكون لنا العقيدة التي نسود بها في الدنيا، ونسعد بها في الآخرة. واللَّه الموفق وهو حسبنا، ونعم الوكيل.





معرفة اللَّه

* وسيلة المعرفة.
* المعرفة عن طريق العقل.
* التقليد حجاب العقل.
* ميادين التفكير وغايته.
* المعرفة عن طريق معرفة الأسماء والصفات.
* اسم اللّه العظيم.

إن معرفة اللَّه، هي أسمى المعارف وأجلّها، وهي الأساس الذي تقوم عليه الحياة الروحية كلها.

فمنها تفرّعت المعرفة بالأنبياء والرسل، وما يتصل بهم من حيث عصمتهم ووظيفتهم، وصفاتهم، والحاجة إلى رسالاتهم، وما يلحق بذلك من المعجزة والولاية، والكرامة، والكتب السماوية.

وعنها تشعبت المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة: من الملائكة والجن والروح.

وعنها انبثقت المعرفة بمصير هذه الحياة، وما تنتهي إليه من الحياة البرزخية، والحياة الأخروية: من البعث، والحساب، والثواب، والعقاب، والجنة، والنار.

□ وسيلة المعرفة:

وللمعرفة باللَّه وسيلتان:

إحداهما: العقل والنظر فيما خلق اللَّه من أشياء.

وثانيهما: معرفة أسماء اللَّه وصفاته.

فبالعقل من جانب، وبمعرفة الأسماء والصفات من جانب آخر، يعرف الإنسان ربه، ويهتدي إليه.

ولنُلْق ضوءاً على كل وسيلة من هاتين الوسيلتين:

□ المعرفة عن طريق العقل:

إن لكل عضو وظيفة، ووظيفة العقل، هي التأمل والنظر والتفكير، وإذا تعطلت هذه القوى بطل عمل العقل، وعطل أهم وظائفه، وتبع ذلك توقف نشاط الحياة مما يتسبب عنه الجمود والموت والفناء. والإسلام أراد للعقل أن ينهض من عقاله، ويفيق من سباته، فدعا إلى النظر والتفكير، وعد ذلك من جوهر العبادة.

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴿٤٦﴾﴾[2].

والذين يجحدون نعمة العقل، ولا يستعملونه فيما خلق من أجله، ويغفلون عن آيات الله هم موضع التحقير والازدراء، والله سبحانه يعتب عليهم فيقول:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[3].

---

(١) سورة يونس، آية: ١٠١.
(٢) سورة سبأ، آية: ٤٦.
(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٥.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾[١].

وتعطيل العقل عن وظيفته يهبط بالإنسان إلى مستوى أقل من مستوى الحيوان، وهو الذي حال بين الأقدمين وبين النفود إلى الحقائق في الأنفس وفي الآفاق. يقول اللَّه سبحانه:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[٢].

□ **التقليد حجاب العقل:**

والتقليد هو المانع للعقل من الانطلاق، والمعوِّق له عن التفكير، ومن ثم فإن اللَّه يُثني على الذين يخلصون للحقائق، ويميزون بين الأشياء، بعد البحث والتمحيص فيأخذون ما هو أحسن، ويدعون غيره:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[٣].

ويندد بالمقلدين الذين لا يفكرون إلا بعقول غيرهم ويحمدُون على القديم المألوف ، ولو كان الجديد أهدى وأجدى لهم.

---

(١) سورة يس، آية: ٤٦.
(٢) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.
(٣) سورة الزمر، الآيتان: ١٧، ١٨.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[1].

□ ميادين التفكير:

والإسلام حين دعا إلى التفكير، ورحّب به، إنما أراد أن يكون ذلك في دائرة نطاق العقل وحدود مداركه.

فدعا إلى النظر فيما خلق اللَّه من شيء، في السموات والأرض، وفي الإنسان نفسه، وفي الجماعات البشرية، ولم يحظُر عليه إلا التفكير في ذات اللَّه؛ لأن ذات اللَّه فوق الإدراك.

«تفكروا في خلق اللَّه ولا تفكروا في اللَّه فإنكم لن تقدروا قدره»[2].

والقرآن الكريم مليء بمئات الآيات الداعية إلى النظر في مجالات الكون الفسيحة وآفاقه الرحبة التي لا تحد بحد. ولا تقف عند نهاية.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[3].

وما أوسع الدنيا التي دعا الإسلام إلى التفكير فيها، وسعتها ليست بشيء في جانب سعة الآخرة.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٠.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية مرفوعاً إلى النبي بسند ضعيف ومعناه صحيح.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢١٩، ٢٢٠.

□ غاية التفكير:

ومن أجل الغايات التي يريدها الإسلام: من إيقاظ العمل، واستعمال وظيفته في التأمل والنظر والتفكير هي هداية الإنسان إلى قوانين الحياة، وعلل الوجود وسنن الكون وحقائق الأشياء؛ لتكون هذه هي المنارات التي تكشف له عن مبدع الكون وخالقه، ولتأخذه برفق إلى هذه الحقيقة الكبرى: حقيقة المعرفة باللَّه.

إن معرفة اللَّه إنما هي نتاج عقل ذكي ملهم، وثمرة تفكير عميق مشرق.

وهذه هي إحدى وسائل القرآن في الدلالة على اللَّه.

إنه يوقظ العقل، ويفتح أمامه كتاب الطبيعة؛ ليتعرف منه ما للَّه من صفات كماله، ونعوت جلاله، ومظاهر عظمته، وأدلة قدسه، وشمول علمه، ونفوذ قدرته، وتفرّده بالخلق والإبداع.

لنقرأ هذه الآيات في وعي:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [1].

فأي برهان أسطع من هذا البرهان، وأي حجة أبلغ من هذه الحجة.

وإذا لم يخضع العقل لهذا البرهان، ويذعن لهذه الحجة، فإنه لا يخضع لبرهان، ولا يذعن لحجة قط.

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [2].

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل.

□ المعرفة عن طريق معرفة الأسماء والصفات:

والوسيلة الأخرى التي اتخذها الإسلام لتعريف الناس باللّه، هي عرض أسماء اللّه الحسنى، وصفاته العليا.

فالأسماء والصفات هي الوسائل التي تعرّف اللّه بها إلى خلقه، وهي النوافذ التي يطل منها القلب على اللّه مباشرة، وهي التي تحرّك الوجدان، وتفتح أمام الروح آفاقاً فسيحة تُشاهد فيها أنوارُ اللّه وجلاله.

وهذه الأسماء هي التي ذكرها اللّه سبحانه في قوله:

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [3].

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٥٩ إلى ٦٤.

(٢) سورة النور، آية: ٤٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١١٠.

وهي التي أمرنا أن ندعوه بها.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ[1] بِهَا﴾[2].

وعددها تسعة وتسعون اسماً. روى البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«إن للَّه تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة[3]، وإن اللَّه وتر يحب الوتر».

وزاد الترمذي في روايته:

هو اللَّه[4]. الذي لا إله إلا هو الرحمن[5]. الرحيم[6]. الملك[7]. القدوس[8]. السلام[9]. المؤمن[10] المهيمن[11].

---

(١) ادعوه: سموه واذكروه واعبدوه وتقربوا إليه بها.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٠.

(٣) حفظها ووعاها واستحضر معناها واستشعر في نفسه آثارها.

(٤) اللَّه: لفظ الجلالة علم على الذات الإلهية المقدمة الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد. وأما بقية الأسماء فكل اسم منها يدل على صفة، ولهذا صح أن تكون وصفاً للفظ الجلالة وأن يخبر بها عنه.

(٥) الرحمن: المنعم بجلائل النعم.

(٦) الرحيم: المنعم بدقائقها.

(٧) الملك: المتصرف في ملكه كيفما يشاء.

(٨) القدوس: المطهر من العيوب والنقائض.

(٩) السلام: الأمان لخلقه.

(١٠) المؤمن: المؤمن لخلقه من العذاب والمصدق وعده لهم.

(١١) المهيمن: المسيطر.

العزيز[1]. الجبار[2]. المتكبر[3]. الخالق[4] البارىء[5]. المصور[6].
الغفار[7]. القهار[8]. الوهاب[9]. الرزاق[10]. الفتاح[11]. العليم[12].
القابض[13]. الباسط[14]. الخافض[15] الرافع[16]. المعز[17].
المذل[18]. السميع. البصير. الحكم[19]. العدل[20]. اللطيف[21].

---

(١) العزيز: الغالب.

(٢) الجبار: المنفذ لأوامره والمصلح لشؤون عباده.

(٣) المتكبر: المنفرد بصفات العظمة.

(٤) الخالق: الموجد للمخلوقات من غير أصل أو المقدر.

(٥) البارىء: الخالق لما فيه الروح والموجد لما له أصل.

(٦) المصور: المعطي لكل شيء صورة تميزه عن غيره. فالخالق الموجد للأشياء إيجاداً أولياً، أو المقدر، والبارىء المظهر لها، والمصور الذي أعطاها الصورة المناسبة.

(٧) الغفار: كثير المغفرة وستر الذنوب.

(٨) القهار: القابض على كل شيء والقاهر لكل الخلائق.

(٩) الوهاب: كثير النعم دائم العطايا والمنن.

(١٠) الرزاق: خالق الأرزاق وخالق أسبابها.

(١١) الفتاح: الذي يفتح خزائن رحمته لعباده.

(١٢) العليم: العالم بكل شيء فلا يغيب عنه شيء.

(١٣) القابض: قابض الأرواح، أو مضيق الرزق على من يشاء من عباده.

(١٤) الباسط: موسع الرزق على من يشاء.

(١٥) الخافض: الذي يخفض من هو مستحق للخفض بالخزي والذل والعذاب.

(١٦) الرافع: الذي يرفع من يستحق الرفعة من المتقين.

(١٧) المعز: يعز من استمسك بدينه ويعطيه النصرة والغلبة.

(١٨) المذل: الذي يذل أعداءه.

(١٩) الحكم: الحاكم الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

(٢٠) العدل: العادل الكامل في عدالته.

(٢١) اللطيف: العالم بخفايا الأمور ودقائقها.

الخبير. الحليم [١]. العظيم [٢]. الغفور [٣]. الشكور [٤]. العليّ [٥]. الكبير [٦]. الحفيظ [٧]. المقيت [٨]. الحسيب [٩]. الجليل [١٠]. الكريم [١١]. الرقيب [١٢]. المجيب [١٣]. الواسع [١٤]. الحكيم [١٥]. الودود [١٦]. المجيد [١٧]. الباعث [١٨]. الشهيد [١٩]. الحق [٢٠].

---

(١) الحليم: الذي لا يستفزه غضب ولا يتعجل بالعقوبة.

(٢) العظيم: البالغ أقصى مراتب العظمة.

(٣) الغفور: كثير الغفران.

(٤) الشكور: الذي يعطي الكثير على العمل القليل.

(٥) العلي: الذي بلغ أعلى المراتب التي لا يتصورها العقل، ولا يدركها الفهم.

(٦) الكبير: الذي لا تستطيع الحواس ولا العقول إدراكه.

(٧) الحفيظ: الذي يحفظ الأشياء من الخلل والاضطراب، ويحفظ أعمال العباد، فلا يضيع منها شيء.

(٨) المقيت: خالق الغذاء الروحي والمادي.

(٩) الحسيب: الذي يكفي عباده، أو الذي يحاسبهم يوم القيامة.

(١٠) الجليل: الذي له صفات الجلال لكمال صفاته.

(١١) الكريم: المعطي من غير سؤال ولا عوض.

(١٢) الرقيب: الذي يراقب الأشياء ويلاحظها.

(١٣) المجيب: الذي يستجيب للداعي إذا دعا.

(١٤) الواسع: الذي عمت رحمته كل شيء، ووسع علمه كل شيء.

(١٥) الحكيم: صاحب الحكمة لكمال علمه وإتقانه كل شيء.

(١٦) الودود: المحب الخير لخلقه، والمحسن إليهم في كل الأحوال.

(١٧) المجيد: البالغ النهاية في المجد والشرف.

(١٨) الباعث: أي باعث الرسل. وباعث الهمم. وباعث من في القبور.

(١٩) الشهيد: العالم بكل مخلوق.

(٢٠) الحق: الثابت الذي لا يتغير.

الوكيل[1]. القوي[2]. المتين[3]. الولي[4]. الحميد[5]. المحصي[6]. المبدىء[7]. المعيد[8]. المحيي[9]. المميت[10]. الحي[11]. القيوم[12]. الواجد[13]. الماجد[14]. الواحد. الصمد[15]. القادر. المقتدر. المقدم[16]. المؤخر. الأول[17]. الآخر[18]. الظاهر[19]. الباطن[20].

---

(١) الوكيل: القائم بأمور عباده وسائر ما يحتاجون إليه.

(٢) القوي: صاحب القدرة التامة.

(٣) المتين: الذي بلغ النهاية في الشدة.

(٤) الولي: المتولي أمر خلقه لحبه لهم ونصره إياهم.

(٥) الحميد: المحمود المستحق للثناء.

(٦) المحصي: الذي لا يغيب عن علمه شيء.

(٧) المبدىء: المظهر للأشياء من العدم.

(٨) المعيد: الذي يعيدها بعد عدمها.

(٩) المحيي: خالق الحياة في كل حي.

(١٠) المميت: سالب الحياة من الأحياء.

(١١) الحي: صاحب الحياة الدائمة.

(١٢) القيوم: القائم بنفسه والمقيم لغيره فيه قامت السموات والأرض.

(١٣) الواجد: الذي يجد كل ما أراده. فلا يحتاج إلى شيء لغناه المطلق.

(١٤) الماجد: مثل المجيد.

(١٥) الصمد: الذي يقصد في الحوائج.

(١٦) المقدم: الذي يقدم الأشياء بعضها على بعض في الوجود، وفي الشرف، أو في الزمان، أو في المكان.

(١٧) الأول: القديم السابق على كل شيء.

(١٨) الآخر: الباقي بعد كل شيء.

(١٩) الظاهر: الذي أظهر وجوده بآياته.

(٢٠) الباطن: الخفي بذاته فلا يعلم ذاته أحد.

الوالي [١]. المتعالي [٢]. البر [٣]. التواب [٤]. المنتقم [٥]. العفو [٦]. الرؤوف [٧]. مالك الملك [٨]. ذو الجلال والإكرام [٩]. المقسط [١٠]. الجامع [١١]. الغني [١٢]. المغني [١٣]. المانع [١٤]. الضار [١٥]. النافع [١٦]. النور [١٧]. الهادي [١٨]. البديع [١٩]. الباقي [٢٠]. الوارث [٢١]. الرشيد [٢٢]. الصبور [٢٣] جلّ جلاله.

---

(١) الوالي: الذي تولى الأشياء وملكها.
(٢) المتعالي: المنزّه عن النقائص.
(٣) البر: كثير البر عظيم الإحسان.
(٤) التواب: الذي يوفق العصاة للتوبة، ويقبلها منهم.
(٥) المنتقم: المعاقب لمن يستحق العقوبة.
(٦) العفو: الماحي لسيئات من أناب إليه.
(٧) الرؤوف: عظيم الرأفة والرحمة.
(٨) مالك الملك: الذي تجري الأمور في السموات والأرض طبق مشيئته وإرادته.
(٩) ذو الجلال والإكرام: صاحب الشرف والكمال ومفيض النعم والآلاء.
(١٠) المقسط: المنصف للمظلومين من الظالمين بعدله.
(١١) الجامع: الذي يجمع شتات الحقائق المختلفة والذي يجمع الناس يوم الدين.
(١٢) الغني: المستغني عن كل ما عداه والمفتقر إليه كل ما سواه.
(١٣) المغني: المتفضل بإغناء من شاء من خلقه.
(١٤) المانع: الذي يمنع أسباب الهلاك.
(١٥) الضار: الذي ينزل عقابه بأعدائه.
(١٦) النافع: الذي عمّ خيره البلاد والعباد.
(١٧) النور: الظاهر بنفسه والمظهر لغيره.
(١٨) الهادي: الذي هدى وأرشد كل شيء إلى ما يحفظ وجوده.
(١٩) البديع: الذي لا نظير له.
(٢٠) الباقي: الدائم الوجود.
(٢١) الوارث: الباقي بعد فناء الموجودات.
(٢٢) الرشيد: المرشد لعباده، والذي تجري تصاريفه لغاياتها بمنتهى الحكمة والسداد.
(٢٣) الصبور: الذي لا يتعجل بالعقوبة، ولا يتعجل بشيء قبل أوانه.

وفي كتاب الدين الإسلامي: وأسماء اللّه الحسنى الواردة في القرآن هي:

١ ـ أسماء اللّه بذاته تعالى وهي:

الواحد. الأحد. الحق. القدوس. الصمد. الغني. الأول. الآخر. القيوم.

٢ ـ أسماء متعلقة بالتكوين وهي:

الخالق. البارىء. المصور. البديع.

٣ ـ أسماء متعلقة بصفتي الحب والرحمة فيما عدا رب. ورحمن. ورحيم هي: الرؤوف. الودود. اللطيف. الحليم. العفو. الشكور. المؤمن. البار. رفيع الدرجات. الرزاق. الوهاب. الواسع.

٤ ـ أسماء متعلقة بعظمة اللّه وجلاله وهي:

العظيم. العزيز. العلي. المتعالي. القوي. القهار. الجبار. المتكبر. الكبير. الكريم. الحميد. المجيد. المتين. الظاهر. ذو الجلال والإكرام.

٥ ـ أسماء متعلقة بعلمه تعالى وهي:

العليم. الحكيم. السميع. الخبير. البصير. الشهيد. الرقيب. الباطن. المهيمن.

٦ ـ أسماء متعلقة بقدرته تعالى وتدبيره للأمور وهي:

القادر. الوكيل. الولي. الحافظ. الملك. المالك. الفتاح. الحسيب. المنتقم. المقيت.

٧ ـ وهناك أسماء أخرى لم تذكر بالنص في القرآن ولكنها استمدت من أفعال أو صفات له تعالى وردت في القرآن وهي:

القابض. الباسط. الرافع. المعز. المذل. المجيب. الباعث. المحصي. المبدىء. المعيد. المحيي. المميت. مالك الملك. الجامع. المغني. المعطي. المانع. الهادي. الباقي. الوارث.

٨ ـ وهناك أسماء أخرى له تعالى مستمدة من المعاني الواردة في القرآن وهي:

النور. الصبور. الرشيد. المقسط. الوالي. الجليل. العدل. الخافض. الواجد. المقدم. المؤخر. الضار. النافع. ويتصل بذلك صفتا التكلم والإرادة.

□ **اسم اللَّه الأعظم:**

وكما أن للَّه هذه الأسماء، فله اسم أعظم [١] إذا دعي به، أجاب وإذا سئل به أعطى، جاء ذكره فيما يلي من أحاديث.

١ ـ عن بريدة رضي اللَّه عنه قال:

---

(١) اختلف العلماء في تعيين اسم اللَّه الأعظم والراجح من أقوالهم أنه دعاء مؤلف من عدة أسماء من أسمائه سبحانه إذا دعا به الإنسان مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعاً استجاب اللَّه له. وليس هو سراً من الأسرار الذي يعطيه اللَّه لبعض الأفراد فتنخرق لهم العادات ويحققون ما يعجز غيرهم عن تحقيقه، ولا ينبغي أن نزيد شيئاً في كتاب اللَّه وسنّة رسوله.

سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو، وهو يقول: (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت اللّه لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفواً أحد).

قال: فقال: **«والذي نفسي بيده لقد سأل اللّه باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»**[(١)].

٢ - وعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: قال: دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى[(٢)] وهو يدعو ويقول في دعائه: **«اللهم لا إله إلا اللّه أنت المنان. بديعُ السموات والأرض. ذو الجلال والإكرام»**[(٣)].

فقال النبي ﷺ:

«أتدرون بما دعا اللّه؟. دعا اللّه باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»[(٤)].

٣ - وعن أسماء بنت يزيد رضي اللّه عنها، أن النبي ﷺ قال: اسم اللّه الأعظم في هاتين الآيتين:

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال المنذري: قال شيخنا أبو الحسن المقدسي هو اسناد لا مطعن فيه ولا أعلم أنه روي في هذا حديث أجود منه. وقال الحافظ بن حجر: هذا الحديث أرجح ما ورد في هذا الباب من حيث السند. ويراجع فقه السنّة ج ٢.

(٢) دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى قال النووي: قال الخطيب: هذا الرجل أبو عباس زيد ابن الصامت الأنصاري الرزقي.

(٣) ذو الجلال والإكرام: أي يا ذا العظمة والكبرياء وذا الإكرام لأوليائك.

(٤) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (١).

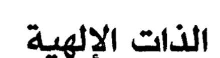
٤ - وعن سعد بن مالك رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«هل أدلكم على اسم اللّه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى؟ الدعوة التي دعا بها يونس حين نادى في الظلمات الثلاث: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» فقال رجل: يا رسول اللّه هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول اللّه ﷺ: **«ألا تسمع قول اللّه عزّ وجلّ: «ونَجَّيناهُ مِنَ الغمّ وكذلك نُنْجِي المؤمنين»** (٢).

فهذه الأسماء التي تفتح آفاقاً واسعة من المعرفة باللّه إذا فهمها الإنسان، وأدرك معناها، وانفعلت بها نفسه، واتخذها نبراساً، فإنها تكشف له عن أكبر حقيقة من حقائق هذا الوجود (٣).

---

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح.
(٢) رواه الحاكم.
(٣) يظن بعض الناس أن لبعض أسماء اللّه خواص إذا واظب عليها الإنسان حصل له الكثير من الخير والعجائب والخوارق، وهذا الظن ليس له سند من الدين.



الذات الإلهية

* إستحالة إدراك الذات.
* الطبيعة تؤكد وجود الخالق.
* الفطرة دليل وجود اللّه.
* دلالة الواقع والتجارب.
* التأييد الإلهي.
* شواهد العقل.
* لا سند للإلحاد.
* إعتراف العلماء المحدثين بوجود اللّه.

إن حقيقة الذات الإلهية لا يمكن للعقل معرفتها، ولا يستطيع إدراك كُنْهِها؛ لأنها لا تحيط بها الفكرة، والإنسان لم يعط وسائل إدراكها بعد.

إن العقل البشري مهما كان مبلغه من الذكاء وقوة الإدراك قاصر غاية القصور وعاجز غاية العجز عن معرفة حقائق الأشياء.

فهو عاجز عن معرفة النفس الإنسانية، ومعرفة النفس لا تزال من أعقد مسائل العلم والفلسفة.

وهو عاجز عن معرفة حقيقة الضوء، والضوء من أظهر الأشياء وأوضحها.

وعاجز عن معرفة حقيقة المادة، وحقيقة الذرات التي تتألف منها. والمادة ألصق بالإنسان.

ولا يزال العلم يقف عاجزاً أمام كثير من حقائق الكون والطبيعة، *لا يستطيع أن يقول فيها الكلمة الأخيرة.*

قال العلامة الفلكي المشهور (كاميل فلامَريُون) في كتابه (القوى الطبيعية المجهولة):

«نرانا نفكر، ولكن ما هو الفكر؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال. ونرانا نمشي، ولكن ما هو العمل العضلي؟ لا يعرف أحد ذلك. أرى أن إرادتي قوة غير مادية، وأن جميع خصائص نفسي غير مادية أيضاً، ومع ذلك فمتى أردت أن أرفع ذراعي، أرى أن إرادتي تحرك مادتي، فكيف يحدث ذلك، وما هو الوسيط الذي يتوسط للقوى العقلية في إنتاج نتيجة مادية؟

لا يوجد من يستطيع أن يجيبني عن هذا أيضاً، بل قل لي: كيف ينقل العصب البصري صور الأشياء إلى العقل؟

وقل لي: كيف يدرك العقل هذا؟

وأين مستقره؟ وما هي طبيعة العمل المخي؟

قولوا لي أيها السادة (يريد الملحدين)... ولكن كفى كفى! فإني أستطيع أن أسألكم عشر سنين، ولا يستطيع أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر أسئلتي».

فإذا كان موقف العقل هكذا حيال النفس والضوء والمادة، وما في الكون المنظور وغير المنظور من أشياء، فكيف يتطلع إلى معرفة ذات الباري جلّ شأنه، ويحاول إدراك كنهه!..

إن ذات اللّه أكبر من أن تدركها العقول، أو تحيط بها الأفكار وما أصدق قول اللّه سبحانه:

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٣٠.

□ العجز عن معرفة حقيقة الأشياء لا ينفي وجودها:

وقصور العقل، وعجزه عن إدراك حقيقة الأشياء لا ينفي وجودها.

فعجزه عن إدراك حقيقة النفس لا ينفي أنها موجودة، وعجزه عن إدراك حقيقة الضوء لا ينفي وجود ضوء يعم الآفاق، وعجزه عن إدراك كنه الذرة لا ينفي أن ثمة ذرات تتكون منها المادة، وهكذا سائر الأشياء التي يقصر العقل عن إدراك حقيقتها ويعجز عن معرفة كنهها.

ومثل ذلك الذات الإلهية إذا عجز الإنسان عن إدراك حقيقتها، فليس معنى ذلك أنها غير موجودة، بل هي موجودة كأقوى ما يكون الوجود.

إن وجوده سبحانه في حكم البديهيات الأولية، والمسلمات العقلية، وما كان كذلك لا يطالب بإقامة الدليل عليه، إلا المكابر، كالأعمى الذي يطلب إقامة الدليل على وجود الشمس أثناء النهار، ومع ذلك فنحن نسوق من الأدلة ما يهدي إلى الحق ويكشف عن وجه الصواب.

□ الطبيعة تؤكد وجود الخالق:

إن وجود اللَّه حقيقة لا شك في أمرها، ولا مجال لإنكارها، فهو ظاهر كالشمس باهر كفلق الصبح، وكل ما في الكون شاهد على هذا الوجود الإلهي، ومواد الطبيعة وعناصرها تؤكد أن لها خالقاً ومدبراً.

فالعالم العلوي، وما فيه من شموس وأقمار ونجوم وكواكب، والعالم الأرضي وما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد، والترابط

الوثيق، والتوازن الدقيق، الذي يؤلف بين هذه العوالم، ويحكم أمرها ـ ما هو إلا آية وجود اللَّه، ومظهر تفرده بالخلق، ولا يتصوّر العقل أن توجد هذه الأشياء بدون موجد، كما لا يتصور أن توجد الصنعة بدون صانع.

فإذا كان العقل يحيل أن تطير طائرة في الهواء، أو تغوص غواصة في الماء، دون أن يكون فيه صانع للطائرة، ومنشىء للغواصة، فإنه يجزم جزماً قاطعاً باستحالة وجود هذا الكون البديع، وهذه الطبيعة الجميلة من غير خالق خلقها، ومدبر دبر أمرها.

إن ثمة فروضاً ثلاثة يمكن أن نفرضها في تعليل الأصل الذي صدر عنه الكون، وليس ثمة فرض وراء هذه الفروض.

الفرض الأول: أن يكون صدور هذا الكون من العدم.

الفرض الثاني: أن تكون الصدفة وحدها هي التي نشأ عنها هذا الكون البديع.

الفرض الثالث: أن يكون ثمة موجد أوجد هذا الكون وأنشأه.

ولنمض في مناقشة كل فرض من هذه الفروض:

فالفرض الأول باطل من أساسه؛ لأن المسببات مرتبطة بأسبابها، والنتائج مرهونة بمقدماتها.

ولا يتصور العقل أن يوجد معلول بدون علة، ولا مسبَّب دون أن يسبق بسبب، ولا نتيجة من غير أن يكون لها مقدمات.

فصدور الكون من العدم معناه وجود المعلول بدون علة، والمسبَّب دون سببه، والنتيجة دون مقدماتها: أي أن الكون وجد من نفسه وصدر منقطعاً عن سببه.

ووجود الأشياء من نفسها منقطعة عن أسبابها محال عقلاً وواقعاً؛ لأن وجود الأشياء من نفسها مع انقطاعها عن أسبابها ترجيح لجانب الوجود على جانب العدم بدون مرجح، وترجيح جانب الوجود على جانب العدم بدون مرجح محال.

إننا إذا قلنا: إن الكون وجد من نفسه منقطعاً عن سببه كان ذلك مساوياً لقولنا بأن العدم سبب الوجود.

وهذا غاية في البطلان؛ لأن العدم لا يتصور أن يكون مصدراً للوجود، ففاقد الشيء لا يعطيه، وهذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[(١)].

أي هل وجدوا من غير خالق!؟ أم خلقوا أنفسهم، فلا يحتاجون إلى أحد يخلقهم!؟. وكل هذا مستحيل.

والفرض الثاني: وهو أعظم تهافتاً من الفرض الأول، فإن الصدفة لا يمكن أن ينبثق عنها هذا النظام، ولا أن يصدر عنها هذا الإحكام، فهل الصدفة هي التي خلقت الذكر والأنثى، وألقت بينهما هذا التأليف الجميل؟ وهل هي التي خلقت الأرض، وما فيها من إنسان وحيوان

---

(١) سورة الطور، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

ونبات وجماد؟ وهل الصدفة هي التي علقت الأرض في الهواء وسيرتها في مدارها الذي لم تنحرف عنه قيد شعرة منذ ملايين السنين؟ وهل الصدفة هي التي سيرت الكواكب والنجوم مع ضخامتها وكثرتها بهذه السرعة المذهلة دون أن تتصادم؟ وهل الصدفة هي التي أوجدت العناصر التي يتألف منها الكون، وهي التي تُنسِّقُهَا تنسيقاً دقيقاً صالحاً للاستمرار والدوام إلى المدى الذي أراده اللَّه؟

إن الذرَّة وهي أصغر الأشياء يحار العقل والعلم في تركيبها المحكم وتناسقها العجيب، وتآلف أجزائها بعضها مع بعض، فهل هذا التركيب والتأليف والتناسق صدفة؟ لنستمع إلى كلمة العلم في الذرة:

«تتألف المادة من ذرات لا يمكن رؤيتها بأقوى المجاهر (الميكروسكوب) ولكي نتصور حجم الذرة علينا أن نتصور أننا لو رصصنا مائة مليون ذرة جنباً إلى جنب لبلغ طولها بوصة تقريباً، ومن ناحية أخرى يوجد في قطرة من مياه البحر خمسون مليون ذرة من الذهب.

وتتألف الذرة من نواة تدور حولها كهارب سلبية (الكترونات) في أفلاك مستديرة، وبين الاثنين فراغ يشبه الفراغ بين الكواكب والشمس من حيث النسبة بين الحجم والأبعاد.

ويبلغ وزن أخف نواة ١٨٥٠ ضعف وزن الالكترون، ولو رصت عشرون ألف نواة جنباً إلى جنب لبلغ طول قطرها قطر الذرة، أو بعبارة أخرى نسبة النواة إلى الذرة كرأس الدبوس بالنسبة إلى منزل متوسط الحجم.

وتدور الالكترونات حول النواة في أفلاك كأفلاك الكواكب إذ تدور حول الشمس، ولكن هذه الأفلاك أكثر حساسية وأقل تحديداً من أفلاك الكواكب، ولو أن المادة المؤلفة من النوى الذرية مكدسة مع بعضها أي بدون الفراغ الموجود بين النواة والالكترونات لبلغ وزن قطعة نقدية في حجم القرشين حوالى ٤٠ مليون طن.

وتتألف النواة من كهارب موجبة (بروتونات) يساوي عددهم عدد الكهارب السالبة (الالكترونات) التي تدور حول النواة. ويوجد إلى جوار البروتونات كهارب أخرى متعادلة الشحنة تسمى نيوترونات، ولو استطعنا أن نخلخل من هذه الرابطة التي تربط بين البروتونات والنيوترونات، أو بالأحرى لو استطعنا أن نهيىء السبل لهروب نيوترون واحد من مجموع النيوترونات التي تحيط بالبروتونات إذن لانطلقت طاقة كبرى كان اينشتين أول من قدرها بأنها تساوي الكتلة في مربع سرعة الضوء مقدراً بالسنتيمتر في الثانية»[١].

فإذا انتقلنا من الذرة، ورفعنا رؤوسنا إلى الشمس رأينا العلم يقول:

«الشمس هي كرة متأججة بنار أشد وطيساً من كل نار على الأرض، وهي أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة، أما بعدها عنا فنحو ٩٢,٥٠٠,٠٠٠ ميل، هذا وإن هي إلا نجمة، وليست هي في عداد النجوم الكبرى.

---

(١) مستقبلنا الذري ـ تأليف ادوارد تيللر والبرت لاتر ـ الطاقة الانسانية.

وهناك مشكلة أخرى أعيا حلها النهائي عقول العلماء والفلكيين، وهي أن الشمس كما يؤخذ من علم طبقات الأرض لم تزل تشع نفس المقدار أو نحوه من الحرارة مدة ملايين من السنين، فإن كانت الحرارة الصادرة عنها نتيجة احتراقها، فكيف لم تفن مادتها مع توالي العصور؟ فلا شك أن طريقة الاحتراق الجارية فيها غير ما نعهد ونألف، وإلا لكفاها ٦٠٠٠ سنة لتحترق، وتنفد حرارتها.

«أما فضل الشمس علينا، فليس أنها مصدر نورنا ونارنا فقط، بل هي محور نظامنا السيّاري، ومصدر حياتنا أيضاً، فهي التي تبخر مياه البحر، وترفعها غيوماً في الجو، وتنزلها أمطاراً على الأرض، حيث تجري جداول وأنهاراً تروي زرعنا وتنمي أغراسنا، وتثير الرياح، وتهيج الأنواء، فتطهر الهواء وتنقيه، وتزجي السفن والمراكب في عُباب المحيط، وهي التي تجر المركبات، وتدير الآلات البخارية، وما الفحم الحجري إلا حرارة نورها المدخرة منذ قديم الأدهار؛ لينتفع بها بنو العصور المتأخرة، ولا حياة لولا الشمس لحيوان، ولا لنبات؛ فالحيوانات تنتعش بحرارتها، والأطيار تغرد بأنوارها، وتسبح تسبيحاً، وبحرارتها وأنوارها تبزغ النباتات، وتنمو الأشجار، وتزهو الأزهار، وتنضج الأثمار فنحن مدينون للشمس بمأكلنا ومشربنا، وهي علة وجودنا على هذه الأرض».

فإذا تجاوزنا الشمس وجدنا أن:

«أقرب نجم إلينا بعد الشمس يعادل بعده ٢٦٠,٠٠٠ مرة بعد الشمس عنا.

ويعتبر هذا شيئاً ضئيلاً بالنسبة لنجوم المجرة التي أسماها القدماء «طريق التبانة». بل تعتبر المجموعة الشمسية ذرة إذا قيست بالمجرة؛ إذ أنها تحتوي على مائة مليون نجم موزعة فيما يشبه القرص المفرطح الرقيق نسبياً.

ويقول هيربرت سبنسر جونز مؤلف كتاب «الفلك العام»:

«إن الضوء يستغرق مائة ألف سنة ضوئية ليصل بين طرفي المجرة، ومعلوم أن الضوء يسير بسرعة ١٧٦,٠٠٠ ألف ميل في الثانية، أو ٣٠٠,٠٠٠ ألف كيلومتر. وعلى هذا فإن السنة الضوئية تعادل عشر مليون مليون كيلومتر.

وليست هذه المجرة التي تبلغ هذا الحد من الضخامة التي لا يقوى العقل على استيعابها إلا واحدة من كثيرات لم يحصها العد.

وبقي أن نعرف أن أقرب مجرة لمجرتنا تبعد سبعمائة ألف سنة ضوئية»[١].

أفبعد هذا يتصور العقل أن يكون ذلك ناشئاً بطريق الصدفة؟

إن القول بالصدفة في خلق الكون لا يتصوره العقل، ولا يقرّه العلم، ولا يقوله إنسان إلا إذا فقد أخص خصائصه من الإدراك والتمييز.

قال الفيلسوف الألماني ادوارد هارنمان خليفة شوبنهور في كتابه المذهب الداروني: «إن الرأي الذي مقتضاه عدم وجود القصد في الكون

---

(١) قصة الكون من السديم إلى الانسان من كتاب الطاقة الانسانية.

عند الدارونيين لا يقوم عليه دليل، وهو من الأوهام التي لا أساس لها من العلم».

وقال الأستاذ فون باير الألماني في كتابه «دحض مذهب دارون»: «...وإذا كانوا يعلنون الآن بصوت جهوري بأنه لا يوجد قصد في الطبيعة، وأن الكون لا تقوده إلا ضرورات عمياء، فأنا أعتقد أن من واجباتي أن أعلن عقيدتي في ذلك وهي أني على العكس أرى جميع هذه الضرورات تكشف عن أغراض سامية».

قال الأستاذ الكبير محمد فريد وجدي رحمه الله بعد أن ذكر هذا الكلام الأخير: «ولو شئنا الاستئناس بمئات من أقطاب العلم والفلسفة على رأي عدم وجود القصد في الخليقة لما كلفنا ذلك أكثر من النقل».

ومتى ثبت وجود القصد في الكون، فقد ثبت وجود المدبر الحكيم جلّ وعلا من طريق محسوس لا سبيل للجدل فيه مصداقاً لقوله تعالى:

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (١).

وإذا لم يصح الفرض الأول، ولا الفرض الثاني؛ لأنهما خارجان عن دائرة العقل والمنطق والعلم، فلم يبق إلا الفرض الثالث:

وهو أن لهذا الكون خالقاً ومدبراً، وهذا هو مقتضى العقل والمنطق السليم الذي دعا سقراط إلى الإيمان بالله، وإفحام اريستوديم الذي ينكر الإلوهية في المحاورة التي نذكرها فيما يلي:

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ١٠.

سقراط: أيوجد رجال تعجب بمهارتهم وجمال صنائعهم؟

إريستوديم: نعم أعجب في الشعر القصصي بهومير، وفي التصوير بزوكيس، وفي صناعة التماثيل ببوليكتيت.

سقراط: أي الصناع أولى بالإعجاب؟ الذي يخلق صوراً بلا عقل ولا حراك أم الذي يبدع كائنات ذات عقل وحياة؟

إريستوديم: طبعاً الذي يبدع الكائنات المتمتعة بالعقل والحياة إذا لم تكن من نتائج الاتفاق.

سقراط: وهل يمكن أن يكون من الاتفاق أن تُعطى الأعضاء لمقاصد وغايات خاصة، عين ترى، وأذن تسمع، وأنف يشم، ولسان يتذوق، والعين تحاط بحراسة لحساسيتها وضعفها، فتقفل عند النوم، أو عند الحاجة، وتحرس بالرموش والحواجب، ويجعل للأذن جهاز خارجي يجمع لها الصوت، وهل يمكن أن يكون كل ذلك من نتائج الاتفاق؟

والميل المودع في النفوس للتناسل، والحنان المخلوق في قلوب الأمهات بالنسبة للأولاد، مع ندرة أن ينفع ولد أباه أو أمه، والطفل الذي يلهم الرضاعة بمجرد ولادته.

هل يمكن أن يكون ذلك كله من نتائج الاتفاق؟

إريستوديم: لا، إن ذلك يدل على الإبداع وعلى أن الخالق عظيم يحب الكائن الحي، ولكن لماذا لا نرى الخالق؟

سقراط: وأنت أيضاً لا ترى روحك التي تتسلط على أعضائك، فهل معنى هذا أن نقول إن أفعالك صادرة عن اتفاق وبدون إدراك؟».

وصدق اللَّه العظيم الذي يقول:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1].

□ الفطرة دليل وجود اللَّه:

والكون وما فيه من نظام، وإحكام، وجمال، وكمال، وتناسق، وإبداع، ليس هو وحده الشاهد الوحيد على وجود قيوم السموات والأرض؛ وإنما هناك شاهد آخر، وهو الشعور المغروس في النفس الإنسانية بوجوده سبحانه، وهو شعور فطري فطر اللَّه الناس عليه، وهو المعبر عنه بالغريزة الدينية، وهو المميز للإنسان عن الحيوان، وقد يغفو هذا الشعور لسبب ما من الأسباب، فلا يستيقظ إلا بمثير يبعث على يقظته من ألم ينزل، أو ضر يحيط، وإلى هذا تشير الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾[2].

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٧.

(٢) سورة يونس، آية: ١٢.

□ دلالة الواقع والتجارب:

وإذا كان النظر العقلي في الكون وأسراره يهدي إلى الباري جلّ شأنه، وإذا كان الشعور الفطري شعوراً أصيلاً في النفس الانسانية، يستوي فيه العالم والجاهل، والحضري والبدوي، والرجال والنساء، والأولون والآخرون، فإن ثمة دليلاً آخر مأخوذاً من واقع الإنسان وتجاربه، فكم دعا الإنسان ربه، فأجاب دعاءه وكم ناداه، فلبّى نداءه، وكم سأله فأعطاه، وكم توكل عليه فكفاه، وكم من مرض شفاه منه، وكم من ألم خففه عنه، وكم من رزق ساقه إليه، وكم من كربة فرَّجها، وكم من غمة كشفها.

إن تجارب الإنسان في الحياة تأخذ بيده، وتوصله إلى اللَّه مباشرة؛ لأنها تكشف له عن الحقيقة التي لم يستطع أن يلمسها بحواسه والتي تدبر الكون. وتسيِّره وفق نظام محكم وقانون مُطَّرد، وما من إنسان إلا وقد وقع له في حياته من التجارب ما عرفه باللَّه، وهداه إليه، وأوقعه عليه.

فكثيراً ما يفقد الإنسان جميع الأسباب المادية التي تجلب الخير له، أو تدفع الشر عنه. فإذا توجه بقلبه إلى رب كل شيء ومليكه تحقق له من الخير ما يصبو إليه واندفع عنه من الشر ما يخاف منه دون سبب ظاهر، أو تعليل معقول، فبماذا تفسر هذه الظواهر؟

وهل لها تفسير أن من ورائها رب الأرباب ومسبب الأسباب.

□ **التأييد الإلهي:**

ومن دلائل الوجود الإلهي أن المؤمنين باللّه حقيقياً أعلى من غيرهم علماً، وأكثر أدباً، وأزكى نفساً، وأطيب قلباً، وأكثر تضحية، وأعظم إيثاراً، وأنفع الناس للناس، فما الذي غير طباعهم وغرائزهم وميولهم، ووجهها وجهة الحق والخير والجمال والكمال؟

لماذا لم يكونوا مثل غيرهم ممن لا يؤمنون باللّه من غلظ الجهل، وجفاء الطبع، وخبث النفس، وظلمة القلب، وفساد الخلق، وحيوانية في المطالب والمآرب؟ لا بد وأن يكون وراء ذلك سر.

وهل فيه سر غير أن المؤمنين باللّه يمدهم بالقوى التي تصحح إنسانيتهم ليصلوا إلى أقصى ما قدر لهم من كمال، فهذا التغيير في نفوس المؤمنين وصفاتهم وأخلاقهم وميولهم أدل دليل على وجود قوى روحية خفية تعمل عملها في صمت، وتظهر آثارها جلية في سلوك المؤمنين بها، الواصلين حبالهم بحبالها.

□ **شواهد النقل:**

ومما يستشهد به على الوجود الإلهي الحقيقي أن المصطفين من العباد، والأخيار من الناس، نادوا في الناس من عهد آدم إلى عهد محمد، عليهم صلوات اللّه وسلامه، بأن لهذا الكون إلهاً حكيماً، وأجمعوا على ذلك.

وقد قامت الشواهد على صدقهم من تأييد اللّه لهم، وكبت أعدائهم، وجعل كلمة اللّه هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فأي

دليل أبلغ من قول الصادقين مع اللَّه والمخلصين له، والداعين إليه، والمتفانين فيه، والمؤيدين به.

□ لا سند للالحاح:

وأخيراً نقرر أنه لم يثبت من ناحية العقل، ولا من ناحية العلم أي دليل يمكن الاستناد إليه في نفي وجود اللَّه. وكل ما ذكره الملحدون ما هو إلا وهم لا يستند إلى منطق سليم، ولا علم مكين.

وليس هذا الإلحاد بجديد على الناس، ولا هو من مبتكرات هذا العصر، وإنما هو قديم، وقديم جداً، قاومه الأنبياء عبر الأجيال والعصور. يقول القرآن الكريم:

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

فهل ثمة فارق بين ما قاله الأولون في عصر الجاهلية، وبين ما يقوله الآخرون في العصر الذي يتحدثون عنه بأنه عصر النور والعرفان؟

على أن العصر الذي بلغ فيه العلم شأواً لم يصل إليه من قبل، لم يستطع أن ينكر وجود اللَّه، بل إن علماءه من أشد الناس إيماناً باللَّه، ولا نريد بالعلماء السطحيين من أدعياء العلم، وإنما نقصد العلماء الحقيقيين.

---

(١) سورة الجاثية، آية: ٢٤.

ومما يؤيد هذا الذي نقوله ما نشره الدكتور دينرت من بحث حلل فيه الآراء والفلسفية لأكابر العلماء بقصد أن يعرف عقائدهم، فتبين له من دراسة ٢٩٠ عالماً، أنهم بالنسبة للعقيدة الدينية كما يلي:

٢٤٢ من هؤلاء أعلنوا إيمانهم الكامل بالله.

٢٨ لم يصلوا إلى عقيدة.

٢٠ لم يهتموا بالتفكير الديني[(١)].

وهكذا نجد أغلبية ساحقة تزيد عن ٩٠٪ يعلنون إيمانهم بالله عن طريق أبحاثهم العلمية، ونجد من سواهم لا يزالون في تردد، أو لم يهتموا بالعقيدة الدينية في أبحاثهم، وأغلب الظن أن المترددين سيصلون يوماً، وأن الآخرين الذين لم يهدهم العلم لساحة الله يعانون نقصاً، لو تخلصوا منه لوصلوا.

ونختم هذا البحث عن الدليل العقلي على وجود الله بأقوال مشاهير العلماء:

يقول هرشل العالم الفلكي الانكليزي: كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حدّ لقدرته ولا نهاية، فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا، وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده[(٢)].

---

(١) نقلاً عن مجلة «الأزهر» المجلد ٢٩ عن كتاب «الإسلام» للدكتور أحمد شبلي.

(٢) دائرة المعارف «وجدي» مادة ١، ج ١، ص ٥٠٣.

ويقول الدكتور وتز الكيماوي الفرنسي: إذا أحسست في حين من الأحيان أن عقيدتي باللّه قد تزعزعت وجهي إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها[1].

ويقول فولتير ساخراً: «لم تشككون في اللّه، ولولاه لخانتني زوجتي وسرقني خادمي»؟!

---

(١) مجلة الأزهر المجلد ١٩.





صفات اللَّه

* الصفات السلبية.
* الصفات الثبوتية.
* صفات الذات والأفعال.
* صفات اللَّه أعلام هادية.

واللّٰه سبحانه الموجد للكون له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، التي هي من مقتضيات كمال ربوبيته وعظمة ألوهيته.

وهذه الصفات قد تفرّد بها الخالق، فلا يشاركه فيها شريك؛ لأنه وحده هو الرب والإله فلا رب غيره، ولا إله إلا اللّٰه.

وهذه الصفات منها صفات سلبية[1]، ومنها صفات ثبوتية.

□ الصفات السلبية:

أما الصفات السلبية فهي:

الأول والآخر:

فاللّٰه سبحانه هو الأول: ومعنى أوليته: أنه سبحانه لا أول لوجوده، وأن وجوده غير مسبوق بعدم.

وأنه هو الآخر: ومعنى آخريته: أنه سبحانه لا آخر لوجوده، وأنه

---

(١) هي التي سلبت عن اللّٰه ما لا يليق بكماله.

باق إلى ما لا نهاية، فهو سبحانه أزلي وأبدي. لا يسبقه عدم، ولا يلحقه فناء؛ لأنه واجب الوجود؛ يقول اللّٰه سبحانه:

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ[1] وَٱلْآخِرُ[2] وَٱلظَّٰهِرُ[3] وَٱلْبَاطِنُ[4] وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[5].

ويقول:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[6].

ويقول:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[7].

وروى البخاري والبيهقي عن عمران بن الحُصَيْن قال:

«إني عند النبي ﷺ، إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى[8] يا بني تميم، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قبلنا. جئنا لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟

---

(١) الأول: السابق في الوجود كل الموجودات من غير سبق العدم.
(٢) الآخر: الباقي بعد بعناء الموجودات.
(٣) الظاهر: بآثاره الدالة على وجوده.
(٤) الباطن: هو الذي لا تدركه الحواس ولا تحيط به العقول.
(٥) سورة الحديد، آية: ٣.
(٦) سورة القصص، الآيتان: ٨٨.
(٧) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٧، ٢٨.
(٨) البشرى: هي أن من أسلم نجا من الخلود في النار.

قال: كان اللَّه ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء.

والذكر هو اللوح المحفوظ، وهو خَلْق عظيم من خلق اللَّه، سجل اللَّه فيه جميع الكائنات التي قدرها، أو هو عبارة عن علم اللَّه المتعلق بسائر الموجودات: كليها وجزئيها، صغيرها وكبيرها.

ومعنى قوله وكان عرشه على الماء: أن العرش في جهة العلو، والماء تحته في جهة السفل، وليس معناه أنه ملاصق للماء محمول عليه. كما يقال السماء على الأرض. أي أنها فوقها دون ملاصقتها لها.

□ بدء الخلق في رأي علماء الشرع:

ويظهر من الأحاديث أن العرش هو أول المخلوقات العلوية، وأن الماء هو أول المخلوقات المادية، وأنه خلق قبل العرش كما رواه أحمد والترمذي.

وبعد خلق العرش والماء خلق اللَّه السموات والأرض.

ويظهر أيضاً من الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي أن أول المخلوقات المعنوية القلم، فقد رويا عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال:

«أول ما خلق اللَّه القلم، ثم قال له اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وأما ما روي من أن أول المخلوقات العقل، فلم يثبت هذا الحديث، وكذلك حديث «أول ما خلق اللَّه نور نبيك يا جابر».

وليس ثمة دليل يمكن التعويل عليه في أصل الكائنات من جهة الشرع.

□ بدء الخلق في رأي علماء الفلك وطبقات الأرض:

وعلماء الفلك وطبقات الأرض يتفقون مع علماء الشرع في أن الكون حدث، وتطور بعد أن لم يكن، ولكنهم يختلفون عنهم في بداية هذا الحدوث وتطوره.

فالشرع لا يتحدث عن ذلك، بينما هم يقولون كما جاء في كتاب «تاريخ الأرض» لجورج جامبو إن الكون بدأ تطوره منذ بليون بليون سنة. أما الأرض فقد نشأت حديثاً جداً إذ لم توجد إلا منذ بليونين من السنين فقط، وظهرت الحياة على الأرض منذ بليون سنة، والحيوانات البرمائية منذ ٢٠٠ مليون سنة، أما الحيوانات الثديية التي يعتبر الإنسان أحد فروعها، فقد بدأ ظهورها على الأرض منذ ١٢٠ مليون سنة.

والإنسان هو أحدث الوافدين على الأرض إذ بدأ على صورته الإنسانية منذ ٥٠ مليون سنة.

واللَّه أعلم بحقيقة ذلك.

ولا يصح أن يقال: إن اللَّه خلق الخلق، فمن خلقه؟ لأن هذا السؤال خطأ، لأن الخالق لا يكون مخلوقاً، لأنه لو كان مخلوقاً لاحتاج إلى خالق، وهكذا إلى ما لا نهاية وعقولنا القاصرة لا تدرك حقيقة نفسها، فكيف بحقيقة الذات الإلهية وقد نهينا أن نبحث فيها، ففي حديث عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا: خلق اللّه الخلق فمن خلق اللّه؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت باللّه»[1].

وقد كتب أحد العلماء الباحثين جواباً عن هذا السؤال موضحاً له بمثال، فقال: إذا وضعت كتاباً على مكتبك، ثم خرجت من الحجرة، وعدت إليها بعد قليل، فرأيت الكتاب الذي تركته على المكتب موضوعاً في الدرج، فإنك تعتقد تماماً أن أحداً لا بد أن يكون قد وضعه في الدرج، لأنك تعلم من صفات هذا الكتاب أنه لا ينتقل بنفسه. احفظ هذه النقطة، وانتقل معي إلى نقطة أخرى.

لو كان معك في حجرة مكتبك شخص جالس على الكرسي، ثم خرجت، وعدت إلى الحجرة، فرأيته جالساً على البساط مثلاً، فإنك لا تسأل عن سبب انتقاله، ولا تعتقد أن أحداً نقله من موضعه؛ لأنك تعلم من صفات هذا الشخص أنه ينتقل بنفسه، ولا يحتاج إلى من ينقله.

احفظ هذه النقطة الثانية، ثم ما أقول لك:

لما كانت هذه المخلوقات، محدثة ونحن نعلم من طبائعها وصفاتها أنها لا توجد بذاتها، بل لا بد لها من موجد، عرفنا أن موجدها هو اللّه تبارك وتعالى، ولما كان كمال الألوهية يقتضي عدم احتياج الإله إلى غيره، بل إن من صفاته قيامه بنفسه، عرفنا أن اللّه تبارك وتعالى موجود بذاته وغير محتاج إلى من يوجده.

وإذا وضعت النقطتين السابقتين إلى جانب هذا الكلام، اتضح لك

---

(١) رواه مسلم.

هذا المقام، والعقل البشري أقصر من أن يتورط في أكثر من ذلك.

□ ليس كمثله شيء:

والله سبحانه لا يماثله شيء، ولا يماثل شيئاً، فكل ما خطر ببالك، فهو بخلاف ذلك، يقول الله سبحانه:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (١).

ومماثلة غير الله في بعض الصفات إنما هي من حيث التسمية، لا من حيث الحقيقة، فإذا قيل: إن فلاناً عالم وحيٌّ وموجود وقادر وحكيم ورحيم، فهو من حيث الظاهر فقط، ومع ذلك فإن وجود العلم والحياة، والقدرة والحكمة والرحمة في الله كاملة غاية الكمال، ووجودها في الأفراد ناقصة غاية النقص بالإضافة إلى الله جلّ شأنه.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٢).

إن الإنسان خُلق ضعيفاً والله قوي عزيز.

والإنسان خلق فقيراً والله غني حميد.

والإنسان والد ومولود، والله لم يلد ولم يولد.

والإنسان نساي، والله لا يضلّ ولا ينسى.

والإنسان ناقص، والله هو الكمال المطلق.

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) سورة النحل، آية: ٦٠.

والإنسان محكوم عليه بالموت، والله حيٌّ لا يموت.

يقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[1].

فالآية تقرر:

١ ـ أن اللَّه واحد في ألوهيته لا يعبد معه غيره؛ لأنه هو الحي التام الحياة والقيوم الذي قامت به السموات والأرض.

٢ ـ وأنه مقدس عن مماثلة غيره من الأحياء، فلا يأخذه نوم ولا سنة ولا فتور يسبق النوم.

٣ ـ وأن الكون كله: أرضه وسماؤه مملوك له، وأن كل ما فيه ومن فيه خاضع له لا يخرج عن تقديره وتدبيره.

٤ ـ وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ومشيئته.

٥ ـ وأن علمه محيط بكل شيء: الماضي والحاضر والمستقبل.

٦ ـ ولا يدرك أحد شيئاً من علمه إلا بالقدر الذي يشاؤه.

٧ ـ وأن كرسيه وسع السموات والأرض.

٨ ـ وأنه لا يثقله حفظهما وهو العليّ العظيم.

وقد سئل النبي ﷺ صف لنا ربك؟ فأنزل اللَّه عزّ وجل:

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [١].

أي لم يكن له مماثل ولا مكافىء.

وما ورد في الآيات الكريمة والسُّنَّة المطهرة مما يوهم بظاهره مشابهة اللَّه لخلقه في بعض صفاتهم، فنؤمن به بدون تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ويسعنا ما يسع السلف، رضي اللَّه عنهم وأرضاهم.

وأحسن ما يقال في ذلك ما قاله الإمام الشافعي:

«آمنت بكلام اللَّه على مراد اللَّه، وبكلام رسول اللَّه على مراد رسول اللَّه».

□ الأحد:

وهو سبحانه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله:

ووحدة الذات: معناها أن ذاته ليست مركبة من أجزاء، وأنه لا شريك له في ملكه.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾ [٢].

ووحدة الصفات معناها: أنه ليس لأحد صفة تشبه صفة من صفاته.

ووحدة الأفعال، معناها: أنه ليس لأحد غيره فعل من الأفعال،

---

(١) سورة الإخلاص، الصمد هو المقصود في الحوائج.

(٢) سورة الزمر، آية: ٤.

فاللّه خالق كل شيء، ومبدع كل شيء، فهو سبحانه مستقل بالايجاد والإبداع.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

فهو أحد أي أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن جميع الأمور إليه وكل شيء في قبضته.

وهو الصمد أي الغني الذي يقصده الناس في حوائجهم.

لم (يلد) لم ينبثق عنه ولد فهو كامل غاية الكمال.

(ولم يولد) لم ينبثق عن غيره؛ لأنه لا أول لوجوده (ولم يكن له كفواً أحد)، لم يكن له أحد يساويه، ويماثله.

ولو وجد مع اللّه شريك له في إلهيّته لبطل نظام هذا الكون العجيب:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

أي لو كان في السموات والأرض آلهة تدبر أمرهما غير الخالق لهما لاختل نظامهما لتنازع المشرفين عليهما؛ لأن كل واحد يريد أن يكون هو المتصرف. وهذا كقوله:

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٩١.

وقد تضمنت الآية:

١ ـ أن اللَّه سبحانه لم يتخذ ولداً لاستلزام انفصال الولد عن أبيه، وذلك يقتضي التركيب المحال على اللَّه، ولأن الولد يجانس أباه، ويماثله، واللَّه ليس كمثله شيء.

٢ ـ واللَّه لا ينبغي أن يكون معه من إله؛ لأنه لو كان معه إله يشاركه في الإلوهية، ويخلق معه لذهب كل واحد بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض.

أي غالب بعضهم بعضاً ليوسع ملكه، ولو حصل هذا لفسد نظام العالم.

ولو كان معه آلهة كما يزعم المشركون لطلبوا مغالبة اللَّه ومزاحمة ذي الجلال.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾[١].

□ الثالوث عقيدة وثنية:

عقيدة النصارى أساسها الثالوث الأقدس: أي المركب من ثلاثة أقانيم[٢] هي: الأب، والابن، والروح القدس، وهي جواهر ثلاثة، وكل جوهر منها مستقل عن الآخر.

---

(١) سورة الإسراء الآيتان: ٤٢ و٤٣.

(٢) أي أصول.

والثلاثة مع ذلك إله واحد:

قال أحد النصارى:

فـــهـــو الإلـــه ابـــن الإلـــه وروحـــه

فـثـلاثـة هـي واحـدة لـم تـقـسـم

والتثليث ليس خاصاً بالنصارى، جاء في دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية قولها في تحديد لفظة ثالوث:

إنه «اتحاد ثلاثة أشخاص متميزة مكونة لإله واحد في عقيدة الديانة النصرانية وبعض الديانات الأخرى، فيقال مثلاً: الثالوث النصراني، والثالوث الهندي» انتهى.

قال المرحوم العلامة الأستاذ فريد وجدي:

«نعم كان الثالوث موجوداً في ديانة قدماء المصريين بالنسبة لآلهتهم الوطنية، وقد اندثرت تلك الديانة الآن.

«والثالوث الهندي موجود للآن لدى الملايين من الناس في الهند والصين، وهو أن البراهمة يعتقدون: أن الخالق تجسد أولاً في «برهما» ثم في «فيشنو» ثم في «سيفا»، ويصورونهم ملتصقين إشارة إلى هذا التجسد الثلاثي.

ويعتقد البوذيون أن الإله فيشنو الذي هو أحد أركان الثالوث الهندي تجسد مراراً عديدة لتخليص العالم من الشرور والذنوب، وكان تجسده في بوذا للمرة التاسعة» انتهى.

هذه العقيدة هي في حقيقة أمرها وثنية، وأنها دخيلة على دين اللّه، فاللّه منزّه عن أن يشبهه شيء، أو يشبه هو شيئاً آخر.

«لَيْسَ كمِثْلِه شيء».

وذاته فوق متناول العقول:

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[1].

ولا يجوز أن تتركب ذاته المقدسة من أجزاء، أو تتحد بالأشياء، أو تحل في خلق من المخلوقات:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[2].

وعقيدة التوحيد والتنزيه هي عقيدة جميع الأنبياء والرسل، حتى السيد المسيح نفسه، والذين يزعمون غير هذا من النصارى لا برهان لهم من العقل، ولا سند لهم من النقل، وإنما هي ظنون وأوهام طرأت عليهم من الديانات الوثنية القديمة. قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر عند كلمة ثالوث:

«إن عقيدة الثالوث، وإن لم تكن موجودة في العهد الجديد الإنجيل ولا في أعمال الآباء الرسوليين، ولا في تلاميذهم الأقربين، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية، والمذهب البروتستنتي، الواقف مع التقليد يزعمون أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

(٢) .سورة طه، آية: ١١٠.

رغماً من أدلة التاريخ الذي يرينا كيف ظهرت هذه العقيدة، وكيف نمت، وكيف علِقت بها الكنيسة بعد ذلك. نعم إن العادة في التعميد كانت أن يذكر عليه اسم الآب، والابن، والروح القدس، ولكننا سنريك أن هذه الكلمات الثلاث كان لها مدلولات غير ما يفهمه عندنا الآن نصارى اليوم.

وإن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق.

وما كان بطرس أحد حواريه يعتبره إلا رجلاً موحىً إليه من عند اللَّه.

أما بولس فإنه خالف عقيدة التلاميذ الأقربين لعيسى، وقال: إن المسيح أرقى من إنسان، وهو نموذج إنسان جديد، أي عقل سام متولد من اللَّه، وكان موجوداً قبل أن يوجد هذا العالم، وقد تجسد هنا لتخليص الناس، ولكنه مع ذلك تابع للإله الآب.

ثم قالت دائرة المعارف بعد ذلك: كان الشأن في تلك العصور أن عقيدة إنسانية عيسى كانت عالية مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين.

فإن الناصريين[١]، والإثبيوتيين، وجميع الفرق النصرانية التي تكونت من اليهودية، اعتقدت بأن عيسى إنسان محض، مؤيد بالروح القدس، وما كان أحد إذ ذاك يتهمهم بأنهم مبتعدون أو ملحدون.

---

(١) سكان مدينة الناصرة التي تسمى بها النصارى.

قال جوستين مارشير[1]:

«إنه كان في زمنه في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح ويعتبرونه إنساناً محضاً، وإن كان أرقى من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل» انتهى كلام دائرة المعارف الفرنسية[2].

إن بطلان عقيدة التثليث واضح وضوح الشمس، ومع ذلك لا أدري كيف يحرصون على ما هو باطل، ويتعصبون له تعصباً أعمى، دون سند من التاريخ، أو حجة من المنطق.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[3].

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[4].

ومن المحاورات الطريفة:

أن بعض المسلمين قال لأحد القسوس: إن بعض الناس أخبرني أن رئيس الملائكة قد مات، فقال له القسيس: إن ذلك كذب، لأن الملائكة خالدون لا يموتون، فقال له المسلم: وكيف؟ وأنت تقول الآن في وعظك: إن الإله قد مات على خشبة الصليب، فكيف يموت الإله

---

(١) مؤرخ لاتيني في القرن الثاني.
(٢) من كتاب «كنز العلوم واللغة».
(٣) سورة الحج، آية: ٤٦.
(٤) سورة النور، آية: ٤٠.

وتخلد الملائكة، فبهت القسيس ولم ينطق بكلمة، أو ينبس ببنت شفة.

وقال أحد شعراء المسلمين:

عـجـبـاً لـلـمـسـيـح بـيـن الـنـصـارى
وإلـى الـلَّـه والـدا نـسـبـوه
أسـلـمـوه إلـى الـيـهـود وقـالـوا
إنـهـم بـعـد قـتـلـه صـلـبـوه
فـلـئـن كـان مـا يـقـولـون حـقـاً
فـسـلـوهـم فـأيـن كـان أبـوه
فـإن كـان راضـيـاً بـأذاهـم
فـاشـكـروهـم لأجـل مـا صـنـعـوه
وإذا كـان سـاخـطـاً غـيـر راض
فـاعـبـدوهـم لأنـهـم غـلـبـوه

ومن أحسن ما قيل في ذلك، قول البوصيري في قصيدته:

جـاء الـمـسـيـح مـن الإلـه رسـولا
فـأبـى أقـل الـعـالـمـيـن عـقـولا
أسـمـعـتـهـم أن الإلـه لـحـاجـة
يـتـنـاول الـمـشـروب والـمـأكـولا؟
ويـنـام عـن عـتـب ويـدعـو ربـه
ويـرومُ مـن حـر الـهـجـيـر مـقـيـلا

ويمسه الألم الذي لم يستطع
صرفاً عنه ولا تحويلا

يا ليت شعري حين مات بزعمهم
من كان بالتدبير عنه كفيلا

زعموا الإله فدى العبيد بنفسه
وأراه كان القاتل المقتولا

أيجوز قول مُنَزِّه لإلهه
سبحان قاتل نفسه فأقولا

أو جل من جعل اليهود بزعمكم
شوك القتاد لرأسه إكليلا

ومضى لحبل صليبه مستسلماً
للموت مكتوفَ اليدين ذليلا

ضلّ النصارى في المسيح وأقسموا
لا يهتدون إلى الرشاد سبيلا

جعلوا الثلاثة واحداً ولو اهتدوا
لم يجعلوا العدد الكثير قليلا

وإذا أراد الله فتنة معشر
وأضلهم رأوا القبيح جميلا

□ **الصفات الثبوتية:**

ما تقدم من الصفات كان صفات سلبية أما الصفات الثبوتية فهي:

□ **القدرة:**

وهو سبحانه قادر لا يعجزه شيء، وصدور هذا الكون ما هو إلا مظهر من مظاهر قدرته وعظمته، وقدرته سبحانه صالحة في كل وقت لإيجاد كل ممكن وإعدامه...

والتأمل اليسير في السموات والأرض، والليل والنهار، والحياة والموت، وما يجري من شؤون في كل لحظة، يهدي إلى معرفة القدرة الباهرة. يقول سبحانه:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[1].

ويقول:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾[2].

ويقول:

---

(١) سورة ق، آية: ٣٨ ـ واللغوب: التعب.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٨٠.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي[1] سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ[2] بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا[3] فَتَرَى الْوَدْقَ[4] يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا[5] بَرْقِهِ يَذْهَبُ[6] بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾[7].

□ الإرادة[8]:

والله سبحانه مريد: أي أنه يخصص الشيء الممكن ببعض ما يجوز عليه، فيجعله طويلاً أو قصيراً، حسناً أو قبيحاً، عالماً أو جاهلاً، في هذا المكان، أو في غيره، وهو سبحانه له أن يتصرف في الكون حسب مشيئته وإرادته وحكمته.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾[9].

---

(١) يزجي: يسوق.
(٢) يؤلف بينه: يجمعه ليتكثف ويتصل بعضه ببعض.
(٣) ركاماً: مجتمعاً يركب بعضه بعضاً.
(٤) الودق: المطر.
(٥) سنا: اللمعان.
(٦) يذهب: يخطف.
(٧) سورة النور، الآيات: ٤٣، ٤٥.
(٨) ليس معنى الإرادة هنا الرغبة أو الميل، وإنما لها معنى خاص.
(٩) سورة النحل، آية: ٤٠.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾[١].

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[٢].

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾[٣].

﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾[٥].

□ **العلم:**

والله عالم بكل شيء، وقد أحاط بكل شيء علماً، سواء منها المعلومات الماضية أو الحاضرة، أو المستقبلة.

وعلم الله لم يسبق بجهل، ولا يعتريه نسيان، ولا يتقيد علمه بزمان ولا مكان.

---

(١) سورة القصص، آية: ٦٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦.

(٥) سورة النساء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

وعلمه بالكليات كعلمه بالجزئيات، وما يبدو في الكون من نظام وإتقان وإحكام ما هو إلا برهان ساطع على شمول علمه وكمال حكمته.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾[1].

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾[2].

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦١﴾[3].

□ الحياة:

والله سبحانه هو الحي، والحياة هي الصفة التي تصحح لموصوفها الاتصاف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع البصر، فلو لم يكن حياً ما ثبتت له هذه الصفات.

وحياة الله حياة كاملة ليس ثم أكمل منها، لا يكتنه كنهها، ولا

---

(١) سورة المجادلة، آية: ٧.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

(٣) سورة يونس، آية: ٦١.

تعلم حقيقتها، وحياته لا يلحقها عدم، ولا يقضى عليها بالانقضاء والفناء.

والعالم لا يمكن أن يصدر إلا من حي.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[1].

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[2].

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾[3].

□ **الكلام:**

والله سبحانه متكلم، وكلامه ليس بحرف ولا صوت، وقد أثبت الله هذه الصفة لنفسه، وأنه كلم موسى فقال:

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[4].

وقال:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[5].

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٥٨.
(٢) سورة غافر، آية: ٦٥.
(٣) سورة طه، آية: ١١١.
(٤) سورة النساء، آية: ١٦٤.
(٥) سورة الأعراف، آية: ١٤٣.

وأنه يكلم أنبياءه:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[1].

وأن كلماته لا حصر لها:

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[2].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[3].

وهذه الصفة من صفات اللّٰه التي أثبتها لنفسه، فنؤمن بها، ولا نبحث عن حقيقتها؛ لأنها كغيرها من الصفات الإلهية التي لا يمكن الوصول إلى العلم بحقائقها.

□ السمع والبصر:

واللّٰه سبحانه سميع يسمع كل شيء، حتى إنه ليسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء، دون أن يشغله سماعه جماعة عن سماعه جماعة آخرين، ودون أن يشتبه عليه لغة، أو يؤثر عليه ضجيج، أو يشوش عليه مشوش، وهو سبحانه لا يسمع بجارحة، ولا بآلة ولا بأذن، ولا بصماخ.

---

(١) سورة الشورى، آية: ٥١.

(٢) سورة الكهف، آية: ١٠٩.

(٣) سورة لقمان، آية: ٢٧.

وقد شكت إحدى النساء زوجها إلى رسول اللّهﷺ ، وأخذت تجادله. فأنزل اللّه سبحانه:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾.

وكما أن اللّه يسمع كل شيء، فهو يرى كل شيء رؤية شاملة تستوعب كل المدرَكات، ورؤيته سبحانه ليست بحدقة كما يرى غيره.

وقد أرسل اللّه موسى وهارون إلى فرعون، وقال لهما:

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[1].

وقال:

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾[2].

---

(١) سورة طه، الآيات: ٤٣، ٤٦.

(٢) سورة غافر، الآيتان: ١٩، ٢٠.

□ صفات الذات وصفات الأفعال:

صفات اللَّه تعالى منها صفات ذات، وهي الصفات الثبوتية، أو صفات معاني، وهي صفة الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

وصفات أفعال: مثل صفة الخلق، والرزق، فالخالق، والرازق هو الذي يفعل الخلق، ويمنح الرزق، وقد اتفق العلماء على أن صفات الأفعال غير الذات. وأنها زائدة عليها.

واختلفوا في صفات الذات: هل هي عين الذات؟ أي أن اللَّه عالم بالذات. وحي بالذات، وهكذا إلى آخر الصفات الثبوتية، أو أنها صفات زائدة على الذات؟ أي أنه عالم بعلم، وحيٌّ بحياة، وقادر بقدرة، ومريد بإرادة، وسميع بسمع، وبصير ببصر، ومتكلم بكلام.

ونحن نرى رأي من رأى من العلماء، وأئمة الدين، أن هذا من الدخيل على الإسلام، ومن البدع الطارئة على العقيدة، ومن المنكرات التي يجب على المسلمين أن يتنزهوا عنها؛ فإن ذات اللَّه أجل من أن تتناول على هذا النحو.

وهذا النوع من التفكير مما نهينا عنه، ولم يكلفنا اللَّه به؛ لأنه خارج عن نطاق العقل المحدود. وذات اللَّه فوق الإدراك.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[١].

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[2].

وتقدم الحديث: **«تفكروا في خلق اللَّه، ولا تفكروا في اللَّه فإنكم لن تقدروه قدره»**.

إن كل ما كلفنا به ـ أن نعلم أن اللَّه موجود، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، والكمال المطلق، وما وراء ذلك يجب الإمساك عنه، ولا يحل البحث فيه، فالعلم به لا ينفع، والجهل به لا يضر.

□ صفات اللَّه أعلام هادية:

وإن علينا أن نسير على هدى هذه الصفات، ونستنير بها، ونتخذها مثلنا الأعلى، ونجعلها غايتنا، حتى نصل إلى أقصى درجات السمو النفسي والارتقاء الروحي.

وقد ألف «حجة الإسلام» الإمام الغزالي رحمه الله كتاب «المقصد الأسنى» شرح فيه أسماء اللَّه الحسنى، وبيّن حظ المؤمن من كل اسم، فينبغي الرجوع إليه، ونحن نقتبس من كتاب الدين الإسلامي ما يأتي:

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) سورة طه، آية: ١١٠.

فاللّه رب العالمين: وهذا مثل أعلى يجب على المؤمن أن يحتذي به، فيحسن تربية نفسه، وذوي قرباه، ويعمل على ما فيه الخير والفلاح.

واللّه تعالى رحمن: ينعم على مخلوقاته، ويظهر لهم حبه، دون أن يؤدوا عملاً يستحقون عليه ذلك، وهذا مثل أعلى يجب على الإنسان التحلي به، فيكون رحيماً ببني جنسه، يفعل الخير ابتغاء وجه ربه، لا رغبة في اجتلاب نفع، أو خشية من مس ضر.

واللّه تعالى رحيم: يجازي الإنسان على عمله، وهذا مثل أعلى أيضاً يجب على الإنسان أن يقابل الإحسان بالإحسان.

واللّه تعالى مالك يوم الدين: يحاسب الناس على أعمالهم، فيجازي المسيء، لا شهوة في الانتقام، بل بروح التسامح، كما يجب أن يعامل السيد الرحيم مَسوده، والوالد ولده، وهذا مثل أعلى آخر يوجب على الإنسان أن يكون متسامحاً وعفواً في معاملاته مع الناس.

هذه الصفات الأربع: هي أبرز صفات اللّه العليا، ومثله العليا، وما يقال عنها يقال عن الصفات الأخرى.

فصفات الحب والرحمة التي هي: الرؤوف، الودود، التوّاب، العفو، الشكور، السلام، المؤمن، البار، رفيع الدرجات، الرزاق، الوهاب، الواسع، كلها صفات يجب على الإنسان اتخاذها نبراساً للسير على هدادها والتحلي بها كما قدمنا.

وكذلك صفات العلم التي هي: العليم، الحكيم، السميع، البصير، الشهيد، الرقيب، الباطن.

فإنها صفات يجب على الإنسان أن يتبعها: ليبلغ مبلغ العلم والحكمة، وأن اللّه تعالى جعل الإنسان خليفته في الأرض حيث قال:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١).

وميّزه عن سائر المخلوقات، فعلمه الأسماء كلها، قال تعالى:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾(٢).

وفيما يختص بالحكمة، فقد أرسل اللّه رسولاً للناس، ليعلمهم الحكمة؛ قال تعالى:

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(٣).

وقال:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(٤).

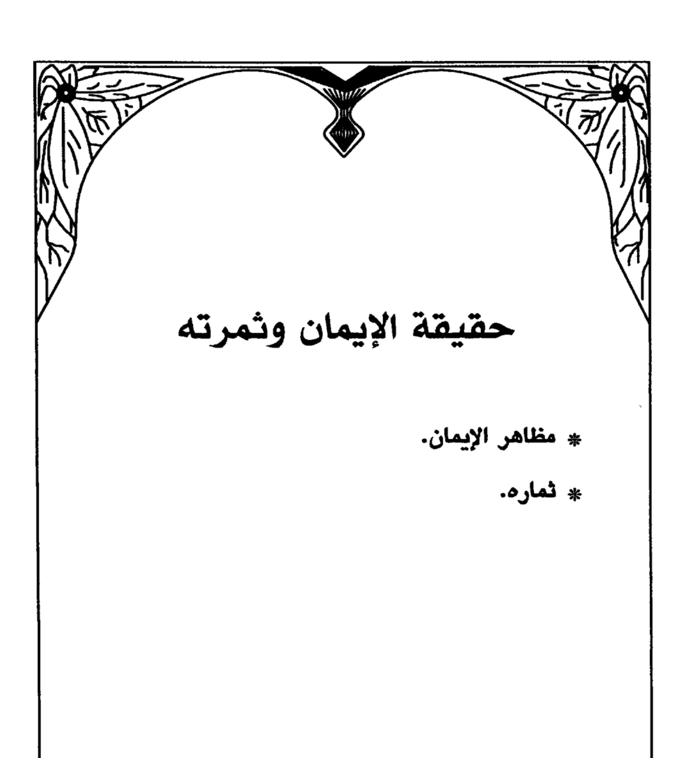
وقوله:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٠.
(٢) سورة البقرة، آية: ٣١.
(٣) سورة البقرة، آية: ١٥١.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦٤.
(٥) سورة الجمعة، آية: ٢.

وفيما يختص بصفات اللّه الدالة على قدرته وتدبيره، فقد أمر الملائكة بالسجود للإنسان، وسخّر السموات والأرض لخدمته ومنفعته، ولهذا يجب على الإنسان أن يتخذ من صفات اللّه تعالى مثلاً أعلى؛ ليكون أهلاً للقيام بما استخلف عليه، وسخّر له ونحن لا نعني أن على الإنسان أن يجعل هذه الصفات رائدة في حياته؛ ليحيا بها حياة طيبة مباركة.



حقيقة الإيمان وثمرته

* مظاهر الإيمان.

* ثماره.

الإيمان باللَّه يمثل أكرم صلة بين الإنسان وخالقه: ذلك أن أشرف ما في الأرض الإنسان، وأشرف ما في الإنسان قلبه، وأشرف ما في القلب الإيمان.

ومن ثم كانت الهداية إلى الإيمان أجل نعمة، وأفضل آلاء اللَّه على الإطلاق.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[1].

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ﴾[2].

وليس الإيمان هو مجرد النطق باللسان، واعتقاد بالجنان، إنما هو عقيدة تملأ القلب، وتصدر عنها آثارها، كما تصدر عن الشمس أشعتها، وكما يصدر عن الورد شذاه.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

(٢) سورة الحجرات، الآيتان: ٧ و٨.

ومن آثاره أن يكون اللَّه ورسوله أحب إلى المرء من كل شيء، وأن يظهر ذلك في الأقوال، والأفعال، والتصرفات، فإن كان ثمة شيء أحب إلى المرء من اللَّه ورسوله فالإيمان مدخول، والعقيدة مهزوزة.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

فالحياة بما فيها من الآباء، والأبناء، والأخوة، والأزواج، والعشيرة، والأموال والتجارة، والمساكن... إن كانت أحب إلى الإنسان من اللَّه ورسوله، فلينتظر عقاب اللَّه للذين شغلوا قلوبهم عنه بغيره.

إن الإيمان لا يكمل إلا بالحب الحقيقي، حب اللَّه، وحب رسوله، وحب الشريعة التي أوحاها اللَّه إليه.

ففي الحديث الصحيح «ثلاث من كنّ فيه، وجد حلاوة الإيمان:

١ ـ أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما.

٢ ـ وأن يحب المرء لا يحبه إلا اللَّه.

٣ ـ وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار».

وقال ﷺ:

---

(١) سورة التوبة، ٢٤.

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، ونفسه التي بين جنبيه، والناس أجمعين».

وجاء عمر إلى رسول ﷺ فقال: «يا رسول اللَّه: لأنت أحبّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال: لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال عمر: والذي بعثك بالحق لأنت أحب إليّ من نفسي.

فقال ﷺ: «الآن يا عمر، أي الآن تَمَّ إيمانك».

وقال ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

وكما يتمثل الإيمان في الحب، يتمثل في الجهاد من أجل إعلاء كلمة اللَّه، والكفاح لرفع راية الحق، والنضال لمنع الظلم، والفساد في الأرض.

وكثيراً ما يقترن الإيمان بالجهاد على أنه روحه ومظهره العملي.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[1].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[2].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١١.

ولقد برز هذا الكفاح في الصفوة المؤمنة في العهد الأول حتى استحقوا ثناء اللّه عليهم.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[1].

وأثر الإيمان يبدو واضحاً في خشية اللّه والخوف منه، فإن من عرف اللّه وعرف عظمته، واستشعر جلاله وكبرياءه، وعرف تقصيره في حقه خشيه وخاف منه.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾[2].

وهذه سمة أهل الحق القوامين على دين اللّه.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾[3].

وكلما كانت المعرفة أكمل كانت الخشية أتم.

ويقول الرسول ﷺ:

«إني لأعلمكم باللّه وأخشاكم له».

وأعظم ما يبدو فيه الإيمان الاستمساك بالوحي، لأنه المنبع الصافي الذي لم يختلط بشائبة الهوى، أو آفة الظنون.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

(٢) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٩.

واستمساك بالوحي، إنما هو اتصال باللَّه، وأخذ عنه مباشرة بدون توسيط وسطاء، وهذا هو أسمى أنواع الاتصال.

والمؤمنون عامة يتجهون هذا الاتجاه، حتى لا يلتبس الحق الذي يؤمنون به بالباطل الذي صنعته عقول الناس وأفهامهم.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[١].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[٢].

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[٣].

والإيمان ينشىء علاقات مختلفة.

فهو يربط بين المؤمنين وبين اللَّه، برباط المودة، والمحبة، ويقيم العلاقة بين المؤمنين بعضهم مع بعض، على أساس من الشفقة والرحمة.

ويقيم العلاقة بين المؤمنين، وبين أعداء اللَّه، الصادين عن الحق على أساس من الغلظة والقسوة.

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٥١، ٥٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٥.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[1].

وقد تجلت هذه الصفات في الرسول وصحابته:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[2].

والعمل الصالح الذي تزكو به النفس، ويطهر به القلب، وتعمر به الحياة أثر من آثار الإيمان.

ولهذا يأتي الإيمان في الآيات القرآنية مقروناً بالعمل الصالح؛ لأن الإيمان إذا تجرّد عن العمل كان إيماناً عقيماً، وكان كالشجرة التي لا تثمر ثمراً، ولا تمد ظلاً. فهي بالقطع أولى منها بالبقاء.

والعمل إذا خلا عن الإيمان، كان رياء ونفاقاً. والنفاق والرياء هما شر ما يصاب به الإنسان.

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[3].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.آية:
(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.
(٣) سورة العصر.

إن الإيمان بهذا المعنى، هو الإيمان القرآني، وهو الإيمان الذي أراده اللَّه لعباده.

وإذا تحقق فإنه يتحول إلى قوة إيجابية في الحياة، وهو الذي يحوّل الضعف إلى قوة، والهزيمة إلى نصر، واليأس إلى أمل، والأمل إلى عمل.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾[1].

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

□ ثمار الإيمان:

وإذا عرف الإنسان ربه عن طريق العقل والقلب ـ أثمرت له هذه المعرفة ثماراً يانعة، وتركت في نفسه آثاراً طيبة، ووجهت سلوكه وجهة الخير والحق، والسموّ والجمال.

وهذه الثمار نجمل بعضها فيما يلي:

(أ) تحرر النفس من سيطرة الغير، وذلك أن الإيمان يقتضي الإقرار بأن اللَّه هو المحيي المميت، الخافض، الرافع، الضار، النافع.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[3].

---

(١) سورة غافر، آية: ٥١.

(٢) سورة الروم، آية: ٤٧.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٨.

إن الذي عوق البشرية عن النهوض، وحال بينها وبين الرقي هو الخضوع للاستبداد، سواء أكان هذا الاستبداد استبداداً سياسياً للحكام والرؤساء، أم استبداداً كهنوتياً لرجال الدين والكهنوت.

وبتقرير الإسلام لهذه الحقيقة، قضي على هذا الأسر، وأطلق حرية الإنسان من سيطرة هؤلاء المستبدين التي لازمته قروناً طوالاً.

(ب) والإيمان يبعث في النفس احتقار الموت والرغبة في الاستشهاد من أجل الحق.

إذ أن الإيمان يوحي بأن واهب العمر هو اللّه، وأنه لا ينقص بالإقدام، ولا يزيد بالأحجام، فكم من إنسان يموت وهو على فراشه الوثير، وكم من إنسان ينجو وهو يخوض غمرات المعارك والحروب...!

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[1]

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾[2]

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[3]

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٨.

(ج) والإيمان يقتضي الاعتقاد بأن اللّه هو الرزاق، وأن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره.

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾[1].

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠﴾[2].

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٦٢﴾[3].

وإذا سيطرت هذه العقيدة على النفس تخلّص الإنسان من رذيلة البخل والحرص والشره، والطمع، واتصف بفضيلة الجود، والبذل، والسخاء، والأنفة والعفة، وكان إنساناً مأمول الخير ومأمون الشر.

(د) والطمأنينة أثر من آثار الإيمان: أي طمأنينة القلب، وسكينة النفس.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨﴾[4].

---

(١) سورة هود، آية: ٦.
(٢) سورة العنكبوت، آية: ٦٠.
(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٢.
(٤) سورة الرعد، آية: ٢٨.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ (1).

وإذا اطمأنّ القلب، وسكنت النفس ـ شعر الإنسان ببرد الراحة، وحلاوة اليقين، واحتل الأهوال بشجاعة، وثبت إزاء الخطوب مهما اشتدت، ورأى أن يد اللَّه ممدودة إليه، وأنه القادر على فتح الأبواب المغلقة، فلا يتسرّب إليه الجزع، ولا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً.

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ (2).

(هـ) والإيمان يرفع من قوى الإنسان المعنوية، ويربطه بمثل أعلى، وهو اللَّه مصدر الخير، والبر، والكمال.

وبهذا يسمو الإنسان عن الماديات، ويرتفع عن الشهوات، ويستكبر على لذائذ الدنيا، ويرى أن الخير والسعادة في النزاهة والشرف، وتحقيق القيم الصالحة... ومن ثم يتجه المرء اتجاهاً تلقائياً لخير نفسه، ولخير أمته، ولخير الناس جميعاً.

وهذا هو السر في اقتران العمل الصالح بجميع شعبه وفروعه بالإيمان إذ أنه الأصل الذي تصدر عنه، وتتفرّع منه.

---

(1) سورة الفتح، آية: ٤.

(2) سورة البقرة، آية: ٢٥٧.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾[1].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[3].

وإذا اهتدى القلب، فأي شيء من الخير يفوته؟!

(و) والحياة الطيبة يعجل الله بها للمؤمنين في الدنيا قبل الآخرة.

وتتمثل هذه الحياة في ولاية الله للمؤمن، وهدايته له، ونصره على أعدائه، وحفظه مما يبيّت له، وأخذه بيده كلما عثر، أو زلّت به قدم، فضلاً عما يفيضه عليه من متاع مادي. يكون عوناً على قطع مرحلة الحياة في يسر.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[4].

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾[5].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[6].

---

(١) سورة يونس، آية: ٩،

(٢) سورة الحج، آية: ٥٤.

(٣) سورة التغابن، آية: ١١.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٥) سورة النحل، آية: ٣٠.

(٦) سورة النور، آية: ٥٥.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾[1].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾[3].

وقد انتهى العالم إلى هذه الحقائق الإيمانية؛ ولا يتسع المجال لإثبات شهادات كبار العلماء، وتسجيل ما شاهدوه.

ونكتفي هنا بتسجيل ما نشر بجريدة الجمهورية يوم السبت ٢٩/ ١١/ ١٩٦٢ قالت الصحيفة تحت عنوان: «العلماء يلجأون إلى الدين لعلاج مرضى الأمراض العقلية».

عزاء وسلوان لأولئك الذين تشبثوا بدينهم، ولم يتزعزع إيمانهم في أحلك لحظات المدنية وأنصعها، أقصد تلك اللحظات التي يتشدّق فيها دعاة النظريات العتيدة، وفي مقدمتها نظرية النشوء والارتقاء «للداروين» ويتشدقون فيها بأن الدين بدعة، وبأن الإنسان يقف وحده في هذا الكون، كما زعم «جوليان هاكسلي» جد الكاتب الفيلسوف البريطاني الكبير « الدوسي هاكسلي».

(١) سورة غافر، آية: ٥١.
(٢) سورة الأعراف، آية: ٩٦.
(٣) سورة يونس، آية: ٩٨.

إن علماء الأمراض العقلية، لا يجدون اليوم سلاحاً أمضى، وأبعد فاعلية لعلاج مرضاهم من الدين والإيمان باللّٰه والتطلع إلى رحمة السماء... والتشبّث بالرعاية الإلهية... والالتجاء إلى قوة الخالق الهائلة عندما يتضح عجز كل قوة سواه..!

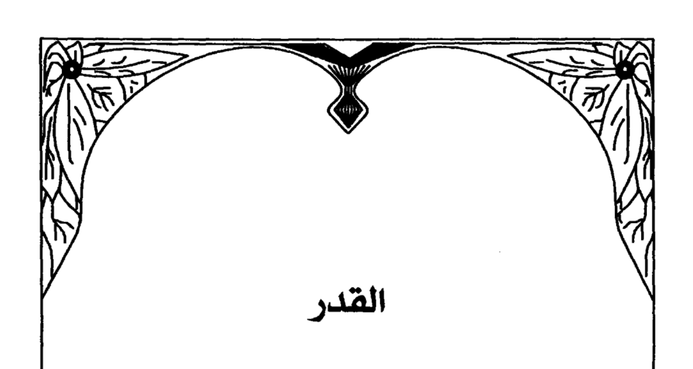
لقد بدأت التجربة في مستشفى بولاية نيويورك، وهو مستشفى خاص بمرتكبي الجرائم من المصابين بالأمراض العقلية.

بدأت التجربة بإدخال الدين كوسيلة جديدة للعلاج بجانب الصدمات الكهربائية لخلايا المخ، والعقاقير المسكنة والمهدئة للأعصاب.

وكانت النتيجة رائعة... إن أولئك الذين تعذّر شفاؤهم، بل فقدوا الأمل فيه، انتقلوا من عالم المجانين إلى عالم العقلاء... أولئك الذين ارتكبوا أفظع الجرائم، وهم مسلوبو الإرادة، باتوا يسيطرون على إرادتهم وتفكيرهم وتصرفاتهم، ويذرفون الدمع ندماً، وكلهم أمل في رحمة السماء ومغفرة اللّٰه.

واستسلم العلماء، ورفعوا أيديهم إلى السماء، يعترفون بضعفهم، ويعلنون للدنيا أن العلم يدعو إلى الإيمان. وليس أبداً إلى الإلحاد.

وأنت طبعاً لست في حاجة لأكثر من الإلمام بالقراءة، وحتى إذا كان قد فاتك قطار التعليم فأمامك بيوت اللّٰه، وفيها السلوى... وفيها العزاء.



القدر

* الله فاعل مختار.
* معنى القدر.
* وجوب الإيمان بالقدر.
* حرية الإنسان.
* الإسلام يقرر حرية الإرادة.
* بين مشيئة الرب ومشيئة العبد.
* الهداية والضلال.

□ اللّه فاعل مختار:

اللّه سبحانه مالك الملك، يتصرف فيه بمقتضى حكمته ومشيئته، وكل تصرّف منه إنما يجري فوق مشيئته التي وضعها في الكون وقوانينه المضطردة في الوجود.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[1].

وهو سبحانه لا يجب عليه شيء، ولا يتصرّف من أجل أحد.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[2].

أي أن اللّه أمر رسوله صلوات اللّه وسلامه عليه أن يقول في الناس: إن اللّه سبحانه مالك الملك الحق، يعطي الملك لمن يشاء،

---

(١) سورة الرعد، آية: ٨.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

وينزعه ممن يشاء بمقتضى سنن اللَّه في العطاء والأخذ، ويعزّ من يشاء بالتوفيق لأسباب العز، ويذلّ من يشاء بالخذلان.

وإنه سبحانه بيده الأمور كلّها خيرها وشرّها، فهو يعطي ويمنع، ويعزّ ويذلّ وينفع ويضرّ، لأنه القادر على كل شيء... ومن مظاهر قدرته ما يشاهد في الكون من إدخال الليل في النهار، وإدخال النهار في الليل، وإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي، وأنه يفيض الرزق على من يشاء بغير حساب، ولا رقابة؛ لأن الأمر كله له وحده لا شريك له.

وهو الفاعل المختار.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[1].

فهو يخلق ويختار من خلقه ما يشاء؛ لأنه المتصرف المطلق، وما كان لأحد الاختيار معه.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

فهو سبحانه يتصرف في ملكه كيفما يشاء بمقتضى الحكمة والرحمة.

فإذا مسّ الإنسان ضر، فلا يكشفه إلا اللَّه، وإذا أراد اللَّه خيراً له، فلا يستطيع أحد رده عنه.

---

(١) سورة القصص، آية: ٦٨.

(٢) سورة يونس، آية: ١٠٧.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾[1].

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾[2].

فملك السموات والأرض له وحده. وما يبديه الإنسان ويظهره، أو يخفيه، وما يكنّه من النوايا والإرادات والعزائم والمقاصد يحاسبه به اللّٰه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهو يغفر لمن يشاء أن يغفر لهم. وقد بيّن سبحانه من يشاء لهم الغفران في قوله:

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[3].

فمغفرة اللّٰه لمن رجع إلى اللّٰه بالتوبة النصوح؛ وجدّد إيمانه باللّٰه، وعمل العمل الصالح الذي يذهب بالسيئات، وبلغ منزلة الهداية التي يطمئن فيها القلب بالحق واليقين، كما أن عذابه سبحانه ينزل بالعصاة المستحقين له بمقتضى عدله وجزاء كل بعمله.

والإيمان بهذا جزء من الإيمان باللّٰه، ويتفرع عنه الإيمان بالقدر.

□ معنى القدر:

جاء في القرآن الكريم ذكر القدر مراراً:

---

(١) سورة فاطر، آية: ٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٣) سورة طه، آية: ٨٢.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[1].

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ﴾[2].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[3].

والذي يؤخذ من مجموع هذه الآيات أن المقصود بالقدر: هو النظام المحكم الذي وضعه اللّه لهذا الوجود، والقوانين العامة، والسنن التي ربط اللّه بها الأسباب بمسبباتها.

وعرّفه النووي فقال: إن اللّه تبارك وتعالى قدّر الأشياء في القِدم، وعلم ـ سبحانه ـ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ـ سبحانه وتعالى ـ وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع حسب ما قدرها.

□ وجوب الإيمان به:

وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أن الإيمان بالقدر جزء من العقيدة، ويكون المعنى أن اللّه خلق النواميس والقوانين والنظم التي وضعها لهذا الوجود، وأن الأشياء تجري وتدور حسب هذه النظم والسنن والقوانين.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ

---

(١) سورة الرعد، آية: ٨.

(٢) سورة الحجر، آية: ٢١.

(٣) سورة القمر، آية: ٤٩.

حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[1].

ويكون الإيمان بالقدر جزءاً من عقيدة المسلم، وليس فيه معنى الإجبار.. قال الخطابي: «قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار اللّه سبحانه العبد على ما قدره وقضاه.. وليس الأمر كما يتوهمون. وإنما معناه الإخبار عن تقديم علم اللّه سبحانه بما يكون من اكتسابات العبد، وصدورها عن تقدير منه تعالى، وخلقه لها. خيرها وشرّها.. والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر».

وعلم اللّه سبحانه بما سيقع، ووقوعه حسب هذا العلم لا تأثير له في إرادة العبد، فإن العلم صفة انكشاف لا صفة تأثير. فمثلاً علم الإنسان بأن ابنه ذكي مقبل على دروسه ومستوعب لها حفظاً وفهماً ليس له تأثير في نجاحه.

□ حكمة الإيمان بالقدر:

وحكمة ذلك: أن تنطلق قوى الإنسان وطاقاته لتعرف هذه السنن، ولتدرك هذه القوانين، وتعمل بمقتضاها في البناء والتعمير، وفي استخراج كنوز الأرض والانتفاع بما أودع في الكون من خيرات.

وبذلك يكون الإيمان بالقدر قوة باعثة على النشاط والعمل والإيجابية في الحياة كما أن الإيمان بالقدر يربط الإنسان برب هذا

---

(١) سورة يس، الآيتان: ٣٧ ـ ٤٠.

الوجود، فيرفع من نفسه إلى معالي الأمور: من الإباء والشجاعة والقوة من أجل إحقاق الحق، والقيام بالواجب.

والإيمان بالقدر يُري الإنسان أن كل شيء في الوجود إنما يسير وفق حكمة عليا، فإذا مسَّه الضر فإنه لا يجزع، وإذا صادفه التوفيق والنجاح فإنه لا يفرَح ولا يَبطر، وإذا برىء الإنسان من الجزع عند الاخفاق والفشل، ومن الفرح والبطر عند التوفيق والنجاح ـ كان إنساناً سوياً متزناً، بالغ منتهى السمو والرفعة، وهذا هو معنى قول اللَّه سبحانه:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[(١)].

هذا ما ينبغي أن نفهمه من القدر. وهو مقتضى فهم الرسول، صلوات اللَّه وسلامه عليه، وفهم أصحابه رضي اللَّه عنهم أجمعين.

وقد دخل رسول اللَّه يوماً على الإمام عليّ كرّم اللَّه وجهه بعد صلاة العشاء، فوجده قد بكّر بالنوم، فقال له:

هلاّ قُمت من اللَّيل؟ فقال: يا رسول اللَّه، أنفسنا بيد اللَّه، إن شاء بسطها، وإن شاء قبضها، فغضب رسول اللَّهﷺ، وخرج وهو يضرب على فخذه ويقول: **«وكان الإنسانُ أكثرَ شيء جَدَلاً»**.

وسرق أحد اللصوص، فلما حضر بين يدي عمر رضي اللَّه عنه، سأله لِمَ سرقت؟ فقال قدَّر اللَّه ذلك، فقال عمر رضي اللَّه عنه اضربوه

---

(١) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

ثلاثين سوطاً، ثم اقطعوا يده، فقيل له: ولم؟ فقال: يقطع لسرقته، ويضرب لكذبه على اللَّه.

إن القدر لا يتخذ سبيلاً إلى التواكل، ولا ذريعة إلى المعاصي، ولا طريقاً إلى القول بالجبر، وإنما يجب أن يتخذ سبيلاً إلى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الأعمال. إن القدر يُدْفَع بالقدر، فيدفع قدر الجوع بقدر الأكل، وقدر الظمأ بقدر الريِّ وقدر المرض بقدر العلاج والصحة، وقدر الكسل بقدر النشاط والعمل.

ويذكر أن أبا عبيدة بن الجراح قال لعمر بن الخطاب رضي اللَّه عنهما حينما فرَّ من الطاعون: أتفرّ من قدر اللَّه، قال: نعم أفرّ من قدر اللَّه إلى قدر اللَّه. أي يفرّ من قدر المرض والوباء إلى قدر الصحة والعافية، ثم ضرب له مثلاً بالأرض الجدباء، والأرض الخصبة، وأنه إذا انتقل من الأرض الجدباء إلى الأرض الخصبة لترعى فيها إبله، فإنه ينتقل من قدر إلى قدر.

لقد كان يمكن للرسول وصحابته أن يستكينوا كما يستكين الضعفاء الواهنون، معللين أنفسهم بالفهم المغلوط الذي يتعلل به الفاشلون، ولكنه جاء يكشف عن وجه الصواب فلم يهن، ولم يضعف، واستعان بالقدر على تحقيق رسالته الكبرى، ملتزماً سنّة اللَّه في نصره لعباده.

فقاوم الفقر بالعمل، وقاوم الجهل بالعلم، وقاوم المرض بالعلاج، وقاوم الكفر والمعاصي بالجهاد، وكان يستعيذ باللَّه من الهم والحزن. والعجز والكسل.

وما غزواته المظفرة إلا مظهراً من مظاهر إرادته العليا التي تجري حسب مشيئة اللَّه وقدره.

وقد حذّر رسول اللَّهﷺ من أن يفهم فهماً خاطئاً، ودعا إلى مجاهدة من يرى هذا الفهم الخطأ.

فقد روي عن جابر رضي اللَّه عنه عن النبيﷺ أنه قال: **«يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي، ثم يقولون اللَّه قدّرها علينا. الرَّادُّ عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله»**.

هذا هو القدر الذي ينبغي أن نعرفه عن القدر وما وراء هذه المعرفة عنه فلا يحلّ لنا البحث فيه ولا التنازع في شأنه؛ فإن هذا من أسرار اللَّه التي لا تحيط بها العقول، ولا تدركها الأفكار.

فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «**خرج علينا رسول اللَّهﷺ** ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمرّ وجهه، وقال: أبهذا أرسلت إليكم؟ إنما أهلك من قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه».

وفي هذا يقول رضي اللَّه عنه لمن سأله في مثل هذا: طريق مظلم لا نسلكه، كرر عليه السؤال فقال: بحر عميق لا تمجه، كرّر عليه السؤال فقال: سرّ اللَّه قد خفي عليك فلا تفشه.. فمثل هذا النهي إنما ينصب على السؤال عن نظام اللَّه في الحياة والموت. وبسط الرزق وضيقه وهكذا، لا على الكلام في القدر نفسه.

□ حرية الإنسان:

منذ أقدم العصور أخذ الإنسان يفكر في نفسه، وفي الكون المحيط به، وكانت حرية الإنسان إحدى القضايا التي تناولها عقله، وشغلت حيّزاً كبيراً من تفكيره، ولا تزال هذه القضية إلى يومنا هذا مثار جدل ومناقشة بين المفكرين والفلاسفة، ولا يزال اهتمامهم بها اهتماماً بالغاً، إذ أنها قضية تتعلق بحياة الإنسان، وتتصل بمصيره، فهو يبحث فيها، ويكد، ويجد في البحث علّه يهتدي إلى الحل الصحيح، كي يرسم لنفسه السلوك على ضوء الحل الذي يهتدي إليه.

وبدهي أن الإنسان حينما حال الكشف عن وجه الصواب في هذه القضية وأراد البحث فيها لم يجعل ميدان بحثه الأعمال الخارجة عن إرادته واختياره ككونه أبيض، أو أسود، وككونه وُلِد من هذا الوالد، أو ذاك. وكنبضات قلبه، وتنفسه وجريان الدم في عروقه، فإن هذه الأشياء خارجة عن نطاق البحث، لأن الإنسان لا اختيار له فيها، وهي غير خاضعة لإرادته.

وإنما اتجه الإنسان وهو بصدد البحث في هذه القضية إلى الأعمال الإرادية التي تدخل في نطاق الإرادة والاختيار، ومدى حريته في ممارسة هذه الأعمال مثل خروجه من البيت، واتخاذه طعاماً معيناً، ولبسه نوعاً من الملابس، وتفضيله لوناً من العلم، أو الكتابة، وممارسته حرفة من الحرف، وزيارته لغيره، وهكذا في كل عمل من الأعمال الاختيارية.

وقد اختلفت الأنظار، وتضاربت الأفكار تضارباً كادت تضيع معه معالم الحق.

فمن قائل: بأن الإنسان مسيَّر[1] غير مخيَّر، ومجبر على ممارسة نشاطه الاختياري، وأنه كالريشة في مهب الريح تتقاذفها ذات اليمين، وذات الشمال.

ومن قائل بأن الإنسان مخيَّر[2] غير مسيَّر، وأنه يمارس أعماله الاختيارية بمحض إرادته ومشيئته.

ومن قائل: بأن الإنسان ليس له من أعماله إلا الكسب[3] ـ أي أن اللَّه يخلق الشيء عند مباشرته، أي أن اللَّه يخلق الشبع عند الأكل، ويخلق المعرفة عند الدراسة وهكذا وليس للعبد إلا الكسب، وبه يصح التكليف والثواب والعقاب والمدح والذم.

والذي نراه في هذه القضية، ونختاره هو ما قرره الإسلام فيما يلي:

□ تقرير الإسلام حرية الإرادة:

قرر الإسلام أن الإنسان خلق مزوّداً بقوى وملكات واستعدادات، وهذه القوى يمكن أن توجه إلى الخير، كما يمكن أن توجه إلى الشر، فهي ليست خيراً محضاً، ولا شراً محضاً، وإن كانت

(١) هذا مذهب الجبرية.
(٢) مذهب المعتزلة والإمامية.
(٣) رأي الأشاعرة.

إرادة الخير في بعض الناس أقوى، وإرادة الشر في البعض الآخر أقوى، وبينها تفاوت لا يعلمه إلا اللَّه، وفي الحديث الصحيح:

«كل مولود يولد على الفطرة».

وفي الحديث أيضاً: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا...».

ويؤيد هذا قول اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[1].

أي أن اللَّه خلق النفس مسوّاة ومُعْتدلة قابلة للتقوى والفجور، ومستعدة للخير والشر.

واللَّه سبحانه زوّد الإنسان بالعقل الذي يميّز به بين الحق والباطل في العقائد، وبين الخير والشر في الأفعال، وبين الصدق والكذب في الأقوال.

وأعطاه القدرة التي يستطيع بها أن يحق الحق؛ ويبطل الباطل، وأن يأتي الخير ويدع الشر، وأن يقول الصدق، ويجانب الكذب، ورسم له منهج الحق والخير والصدق بما أنزل من كتب، وبما أرسل من رسل، وما دام العقل المميز موجوداً، والقدرة على الفعل صالحة، والمنهج المرسوم واضحاً، فقد ثبت للإنسان حرية الإرادة، واختيار الفعل.

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٧، ٨.

وعلى الإنسان أن يوجه قواه إلى ما يختاره لنفسه من حق، أو باطل، ومن خير، أو شر، ومن صدق، أو كذب.

وفي القرآن الكريم يقول اللّه سبحانه:

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾[1].

أي هديناه وأرشدناه إلى طريق الحق والباطل، والخير والشر، والصدق، والكذب، فهو إما أن يسلك السبيل الأهدى، فيكون شاكراً، أو الطريق المعوج فيكون كفوراً.

وفي هذا المعنى أيضاً يقول القرآن الكريم:

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾[2]. أي الطريقين.

وكل إنسان مسؤول عن تهذيب نفسه، وإصلاحها حتى تصل إلى كمالها المقدَّر لها، فإن إصلاحها وتزكيتها وتنميتها بالعلم النافع والعمل الصالح هو سبيل فلاحها وفوزها برضا اللّه، والقرب من مشاهدة جلاله وجماله، كما أن إهمالها هو السبيل إلى خيبتها وخسرانها.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[3].

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤﴾[4].

---

(١) سورة الإنسان، آية: ٣.
(٢) سورة البلد، آية: ١٠.
(٣) سورة الشمس، الآيتان: ٩، ١٠.
(٤) سورة القيامة، آية: ١٤.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾[١].

﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾[٢].

والآيات التي تقرر حرية الإنسان كثيرة جداً، منها قول اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[٣].

فأسند العمل الصالح والعمل السيء إلى الإنسان، ولو لم يكن الإنسان حراً ما أسند إليه الفعل.

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول اللَّه سبحانه:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[٤].

أي أن الشرور التي تعرض للإنسان إنما هي أثر من آثار عمله ونتاج اختياره وتصرفه.

وإن القرآن ليتحدث عن المفاسد والجرائم التي تحيط بالناس، فيبين أنها ليست من صنع اللَّه، وإنما هي من عمل البشر.

---

(١) سورة المدثر، آية: ٣٨.

(٢) سورة الطور، آية: ٢١.

(٣) سورة فصلت، آية: ٤٦.

(٤) سورة الشورى، آية: ٣٠.

﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[1].

هذا الذي يُقَرره القرآن هو ما يشعر به الإنسان من نفسه، فهو يشعر بأنه يمارس أعماله الإرادية بمحض إرادته واختياره، فهو يفعل منها ما يشاء، ويَدَع منها ما يشاء، وهو إذا فعل منها ما هو نافع استحق المدح، وإذا فعل ما هو ضار استوجب الذم، فلو لم يكن مختاراً لما توجه إليه المدح على فعل ما هو نافع، ولما توجه له الذم على فعل ما هو ضار.

بل لو لم يكن الإنسان مختاراً لما كان ثمَّة فرق بين المحسن والمسيء؛ إذ أن كلاً منهما مُجْبَر على ما يفعله، ولبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ لا فائدة لهما حيث إن الإنسان مسلوب الإرادة، ولما كان ثمة معنى لتكليف اللّه للعباد؛ لأن تكليفه إياهم مع سلب اختيارهم هو منتهى الظلم الذي يتنزّه اللّه عنه، ويكون الأمر كما قال القائل:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له
إياك إياك أن تَبْتَلَّ بالماء

بل لو كان الإنسان مُسَيَّراً لضاعت فائدة القوانين، ولبطل الجزاء من الثواب والعقاب.

وقد أراد المشركون أن يحتجُّوا بمشيئة اللّه على شركهم، وأنه لو

(١) سورة الروم، آية: ٤١.

لم يشأ أن يكونوا مشركين لما كانوا كذلك، فأبطل اللّه حجتهم ودَحَضَها بقوله:

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[1].

فالقرآن يرد على المشركين من وجهين:

الأول: أن اللّه أذاق الكافرين الأول بأسه، وأنزل بهم عقابه، فلو لم يكونوا مختارين للجرائم والمآثم، والكفر والشرك لما عذّبهم اللّه، لأن اللّه عادل لا يظلم مثقال ذرة.

والوجه الثاني: أنهم زعموا ذلك عن جهل باللّه، وجهل بدينه، وأنهم ليس عندهم من علم يمكن أن يستند إليه، ويرجع إليه، وإنما كفرهم هذا تمرّد على دينه وافتيات على الحق الذي أنزله على ألسنة الرسل.

وإذا كان اللّه قد عذّب الأمم السابقة على كفرها، وإذا كان المشركون ليس لهم من حجة يحتجون بها، فقد تقرر أن دعوى المشركين دعوى ظنية لا تقوم عليها حجة، ولا ينهض بها دليل.

وبذلك قامت حجة اللّه البالغة على هؤلاء، ولو شاء اللّه لأجبرهم على الهداية، وإذن فلن يكونوا حينئذٍ من البشر، لأن البشر فطر على الحرية والاختيار.

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٤٨ و١٤٩.

□ مشيئة الرب ومشيئة العبد:

وقد يقال: إذا كان اللّه منح العبد الحرية والاختيار فما معنى قوله:

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾[1].

فنقول: معناها أن الإنسان لا يشاء شيئاً إلا إذا كان في حدود مشيئة اللّه وإرادته، فمشيئة البشر ليست مشيئة مستقلة عن مشيئة اللّه، واللّه قد شاء للإنسان أن يختار أحد الطريقين: طريق الهداية، أو طريق الضلالة.

فإذا اختار الطريق الأول، ففي نطاق المشيئة الإلهية، وإذا اختار الطريق الثاني ففي نطاقها أيضاً.

وكل الآيات التي جاءت على هذا النحو فمعناها لا يتعدى ما ذكرناه.

□ الهداية والإضلال:

وقد يقال أيضاً: لقد جاء في القرآن الكريم:

﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[2].

أي أن اللّه يضل من يشاء إضلاله، ويهدي من يشاء هدايته، وإذا كان اللّه يضل ويهدي فليس للعبد حرية الاختيار، والواقع أن الهداية والإضلال نتائج لمقدمات، ومسببات لأسباب.

---

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨ و٢٩.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٣.

فكما أن الطعام يغذي، والماء يروي، والسكين تقطع، والنار تحرق.

فكذلك هناك أسباب توصل إلى الهداية، وأسباب توصل إلى الضلال.

فالهداية إنما هي ثمار عمل صالح.

والضلال إنما هو نتائج عمل قبيح.

فإسناد الهداية والإضلال إلى اللّٰه من حيث إنه وضع نظام الأسباب والمسببات لا أنه أجبر الإنسان على الضلال أو الهداية.

وحينما نرجع إلى الآيات القرآنية نجد هذا المعنى بيناً وواضحاً، لا لبس فيه ولا غموض فاللّٰه يقول:

﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[1].

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾[3].

فهداية اللّٰه للناس بمعنى لطفه بهم، وتوفيقهم للعمل الصالح، إنما هي ثمرة جهاد للنفس وإنابة إلى اللّٰه، واستمساك بإرشاده ووحيه.

ويقول القرآن الكريم في الإضلال:

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٧.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٢٧.

(٣) سورة محمد، آية: ١٧.

﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [1].

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [2].

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [3].

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [4].

﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [5].

﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [6].

فنرى من هذه الآيات أن سبب الإضلال هو الزيغ، والخروج عن تعاليم اللّه. والكبر، والجبروت، والتعالي على الناس بغير حق، ونقض عهد اللّه، وقطع ما أمر اللّه به أن يوصل، ووصل ما أمر اللّه به أن يقطع، والفساد في الأرض، والكفر واقتراف الآثام.

فهذه هي الأسباب التي أضلّت الناس، وأخرجتهم عن منهج الحق

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٢) سورة ابراهيم، آية: ٢٧.
(٣) سورة غافر، آية: ٣٥.
(٤) سورة الصف، آية: ٥.
(٥) سورة المطففين، آية: ١٤.
(٦) سورة النساء، آية: ١٥٥.

لأنهم آثروا العمى على الهدى، واستحبوا الظلام على النور، فكان أن كافأهم اللَّه فأصمهم، وأعمى أبصارهم بمقتضى نظامه في ارتباط الأسباب بمسبباتها.

وهذا ونحوه كثير في كتاب اللَّه، ومنه:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[1].

فهؤلاء أهملوا منافذ العلم والعرفان، وعطلوها عما خلقت له، فلم يصل إليها نور الحق.

فقلوبهم غلف لا تعقل عن اللَّه وحيه، وعيونهم عمي لا ترى اللَّه في ملوكته، وآذانهم صم لا تسمع آيات اللَّه، فهم مثل الأنعام التي لا تنتفع بحواسها الظاهرة والباطنة، بل أضل من الأنعام، إذ الأنعام لم تُزوَّد بما زُوِّد به الإنسان من قوى نفسية وعقلية وروحية.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.



* من هم الملائكة؟
* مم خلقوا؟
* فضل البشر على الملائكة.
* طبيعتهم.
* تفاوتهم.
* عملهم في عالم الأرواح.
* عملهم في عالم الطبيعة.
* الإيمان بهم.

الملأ الأعلى، أو الملائكة عالم لطيف غيبي غير محسوس، ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس، وهم من عوالم ما وراء الطبيعة، أو غير المنظورة التي لا يعلم حقيقتها إلا اللّه.

وهم مطهرون من الشهوات الحيوانية، ومبرؤون من الميول النفسية، ومنزهون عن الآثام والخطايا.

والملائكة: ليسوا كالبشر يأكلون، ويشربون، وينامون، ويتصفون بالذكورة، أو الأنوثة، وإنما هم عالم آخر، قائم بنفسه، ومستقل بذاته، لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المادية، ولهم قدرة على أن يتمثلوا بصور بشرية، وغيرها من الصور الحسية، فقد جاء جبريل إلى السيدة مريم متمثلاً في صورة بشرية:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾[1].

(١) سورة مريم، الآيتان: ١٦، ١٧.

ودخلت جماعة منهم على سيدنا ابراهيم في صورة آدميين يحملون إليه البشرى وظنهم ضيوفاً فقدّم إليهم الطعام:

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ[1] إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ[2] ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ[3] وَأَوْجَسَ[4] مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ[5] فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[6].

□ مم خُلقُوا؟

والملائكة خلقهم اللّه من نور، كما خلق آدم من طين، وكما خلق الجانّ من نار، روى مسلم عن عائشة رضي اللّه عنها أن رسول اللّه ﷺ قال: **«خُلِقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»**.

ومسكنهم السماء، وينزلون منها بأمر اللّه.

روى أحمد والبخاري عن ابن عباس أن رسول اللّه ﷺ قال

---

(١) أي الملائكة.

(٢) مشوى على الحجارة المحماة بالنار.

(٣) وجد منهم غير ما يعرف.

(٤) شعر بالخوف منهم.

(٥) سروراً وفرحاً بالبشرى.

(٦) سورة هود، الآيات: ٦٩، ٧٣.

لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت:

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[1].

وخلقهم متقدم على خلق الإنسان، وقد أخبرهم اللّٰه بأنه سيخلقه ويجعله خليفة في الأرض.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

□ البشر أفضل منهم:

والظاهر أن البشر أفضل من الملائكة، كما هو واضح في عجزهم عن الإجابة على الأسماء التي عرضها اللّٰه عليهم، بينما أجاب آدم إجابة صحيحة، فشرف العلم الذي خصّه اللّٰه به وامتاز عليهم في معرفة الأشياء وإدراكها.

وكذلك في أمر اللّٰه للملائكة بالسجود لآدم ما يفيد تفضيله عليهم.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا

---

(١) سورة مريم، آية: ٦٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٣٠.

إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[1].

ومن جانب آخر، نرى أن طاعة الملائكة جبلية، وتركهم للمعصية لا يكلفهم أدنى مجاهدة؛ لأنه لا شهوة لهم.

فأي فضل لهم في الطاعة، وترك العصيان مع أن ذلك يقع منهم وقوعاً اضطرارياً كما ينبض القلب، ويجري الدم، وتتنفس الرئتان بينما الإنسان يجاهد النفس، ويصارع الهوى، ويحارب الشيطان، ويتكلف الطاعة، ويسعى جاهداً في تكميل نفسه، وترقية روحه رغباً ورهباً.

□ طبيعتهم:

وطبيعة الملائكة الطاعة التامة للّه، والخضوع لجبروته، والقيام بأوامره، وهم يتصرفون في شؤون العالم بإرادة اللّه ومشيئته، وهو سبحانه يدبربهم ملكه. وهم لا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾[2].

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٣١، ٣٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٥٠.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٨.

﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾[1].

روى البخاري أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا قضى اللَّه الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً[2] لقوله كأنه صلصلة[3] على صفوان فإذا فُزِّع[4] عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال الحق، وهو العلي الكبير**».

□ تفاوتهم:

وهم يتفاوتون في الخلق، كما يتفاوتون في الأقدار تفاوتاً لا يعلمه إلا اللَّه:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١﴾[5].

أي أن اللَّه جعل الملائكة أصحاب أجنحة[6] فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من يزيد على ذلك، وهذا مظهر التفاوت في الأقدار عند اللَّه والقدرة على الانتقال.

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) خضعاناً مصدر أي خضعت خضوعاً.

(٣) الصلصلة: الصوت المتدارك الذي يسمع ولا يثبت أو ما يقرع السمع حتى يفهم بعد، والصفوان: الحجر الأملس.

(٤) فزِّع: انكشف الفزع.

(٥) سورة فاطر، آية: ١.

(٦) هذا من الغيب الذي نؤمن به ولا نبحث عنه لأننا لم نكلف العلم به ولم يخبرنا المعصوم عنه.

روى مسلم عن ابن مسعود «أن رسول اللَّه ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح».

وكثرة الأجنحة دليل القدرة على السرعة في تنفيذ أوامر اللَّه وتبليغ رسالته.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ[1] ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾[2].

قال ابن كثير: وما من ملك إلا له موضع مخصوص في السموات، ومقامات العبادات لا يتجاوزه، ولا يتعداه.

وقال ابن عساكر في ترجمته لمحمد بن خالد بسنده إلى عبد الرحمن ابن العلاء ابن سعد عن أبيه، وكان ممن بايع يوم الفتح إن رسول اللَّه ﷺ قال يوماً لجلسائه:

«أطَّتْ السماء وحُقَّ لها أن تئط، ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد، ثم قرأ:

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾[3].

---

(١) أي نقف صفوفاً في الطاعة.

(٢) أي نصطف فنسبح الرب ونمجده، ونقدسه وننزهه عن النقائض فنحن عبيد له، فقراء إليه، خاضعون إليه. سورة الصافات، آية: ١٦٥.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٦٤، ١٦٦.

□ **عملهم:**

وللملائكة عمل في عالم الأرواح، وعمل في عالم الطبيعة، ولهم صلة خاصة بالإنسان.

□ **عملهم الروحي:**

فعملهم الروحي في عالم الأرواح يتلخص فيما يلي:

(أ) التسبيح والخضوع التام للَّه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾[1].

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[2].

(ب) حمل العرش:

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[3].

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾[4].

(جـ) التسليم على أهل الجنة:

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٠٦.

(٢) سورة الزمر، آية: ٧٥.

(٣) سورة غافر، آية: ٧.

(٤) سورة الحاقة، آية: ١٧.

(٥) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(د) تعذيب أهل النار:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾[1].

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ﴾[2].

□ النزول بالوحي:

وملك الوحي، هو جبريل عليه السلام، قال تعالى:

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾[3].

ويسمى ـ الروح الأمين ـ قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾[4].

ويسمى روح القدس، قال الله تعالى:

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾[5].

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) سورة المدثر، الآيات: ٢٧، ٣١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٩٧.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ ـ ١٩٤.

(٥) سورة النحل، آية: ١٠٢.

ويسمى أيضاً بالناموس، كما قال ورقة بن نوفل لرسول اللّه في أول عهده بالوحي لقد جاءك بالناموس الذي نزّل اللّه على موسى.

ويأتي جبريل أحياناً في صورة بشر، وأحياناً في مثل صلصة [1] الجرس.

روى البخاري عن عائشة رضي االلّه عنها أن الحارث بن هشام رضي اللّه عنه سأل الرسول ﷺ، فقال يا رسول اللّه: كيف يأتيك الوحي؟ فقال:

«أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم [2] عني وقد وعيت عنه [3] ما قال:

وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول».

قالت عائشة رضي اللّه عنها: «ولقد رأيته ينزل الوحي عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً».

وفي الحديث الذي أخرجه ابن أبي دنيا، والحاكم عن ابن مسعود، أن رسول اللّه ﷺ قال:

«إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها؛ فاتقوا اللّه وأجملوا في الطلب».

---

(١) أي أن صوته يشبه الصلصلة وهو الرنين المتتابع.

(٢) يفصم: يقلع.

(٣) وعيت: حفظت: إنما كانت الحالة الأولى أشد لأنها: انسلاخ من البشرية واتصال بالروحانية؛ وكانت الثانية أخف، لأنها انتقال ملك الوحي من الروحانية إلى البشرية.

□ عملهم في الطبيعة ومع الإنسان:

وللملائكة عمل في تدبير أمور الكون من إرسال الرياح والهواء، ومن سوق السحب وإنزال المطر، ومن إنبات النبات، ونحو ذلك من الأعمال الخافية على الأنظار التي لا تقع تحت الحواس.

وهم يلازمون الإنسان في حياته كلها، وبعد مماته، يقول الرسول ﷺ:

«إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء، وعند الجماع، فاستحيوهم وأكرموهم».

□ تنشيط القوى الروحية الكائنة في الإنسان بإلهام الحق والخير:

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«إن للشيطان لمة [1] بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من اللَّه، وليحمد اللَّه، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ:

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [2].

---

(١) اللمة كهمة: الخطرة بالقلب. لمة الشيطان وسوسته بالسوء، ولمة الملك وحيه بالخير.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٨.

□ **دعاء الملائكة للمؤمنين:**

والله سبحانه لسعة مغفرته، ولحبه لعباده، يلهم ملائكته أن يضرعوا إليه بالدعاء، ويسألوه برحمته التي وسعت كل شيء، وعلمه الذي وسع كل شيء، أن يغفر للتائبين، ويدخلهم في عباده الصالحين:

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾[1].

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال:

«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يدعوان، يقول أحدهما: اللهم أعط ممسكاً تلفاً. ويقول الآخر: اللهم أعط منفقاً خلفاً».

□ **تأمينهم مع المصلين:**

والملائكة تؤمن مع المصلين، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«إذا قال الإمام «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فقولوا: آمين[2]، فإن الملائكة يقولون: آمين، وإن الإمام يقول: آمين، فمن

---

(١) سورة غافر، الآيات: ٧، ٩.

(٢) أي قولوا آمين مع الإماء مع الموافقة له.

وافق تأمينه تأمينَ الملائكة غفر له ما تقدّم من ذنبه»[1].

□حضورهم صلاة الفجر والعصر من كل يوم:

روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»**. يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم.

﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ[2] إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾[3].

وروى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون».

□نزولهم عند قراءة القرآن:

وهم ينزلون عند قراءة القرآن، ويستمعون إليه:

فعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن أسيدْ بن حُضيْر بينما هو في ليلة يقرأ في مربده[4] إذا جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت[5]

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.
(٢) أي صلاة الفجر.
(٣) سورة الإسراء، آية: ٧٨.
(٤) المربد: الجرن.
(٥) جالت: وثبت.

أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضاً. قال أسيد، فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها. فغدوت على رسول اللهﷺ فقلت: يا رسول اللّه بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذا جالت فرسي، فقال رسول اللّهﷺ : اقرأ ابن حضير. قال فقرأتُ، ثم جالت أيضاً، فقال رسول اللّهﷺ اقرأ ابن حضير فقال: فقرأت، ثم جالت أيضاً فقال رسول اللّهﷺ اقرأ ابن حضير. قال: فانصرفت وكان يحيى قريباً منها خشيتُ أن تطأها، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فقال رسول اللّهﷺ : تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم»[1].

□ حضورهم مجالس الذكر:

وهم يلتمسون حلقات الذكر لإمدادهم بالقوى الروحية.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّهﷺ : **«إن للّه ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون اللّه تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم ما يقول عبادي؟ قال يقولون: يسبحونك، ويكبرونك ويحمدونك، ويمجدونك؛ قال فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون لا واللّه يا رب ما رأوك قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادة وأشد لك**

(١) رواه البخاري ومسلم، واللفظ له.

تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً، قال فيقول: مم يسألوني؟ قال يقولون: يسألونك الجنة. قال فيقول: وهل رأوها؟ قال يقولون لا واللّه يا رب ما رأوها؟ قال فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون يتعوذون من النار. قال فيقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لا واللّه ما رأوها. قال فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة. قال فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم، قال يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». رواه البخاري واللفظ له ومسلم. ولفظه قال:

«إن للّه تبارك وتعالى ملائكة سيّارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وصف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء، قال: فيسألهم اللّه عزّ وجل ـ وهو أعلم بهم ـ من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك ويسألونك. قال: فما يسألوني؟ قالوا يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا لا يا رب ـ قال: وكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك قال: وممّ يستجيروني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: هل رأوا ناري؟ قالوا: لا يا رب. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا. قال يقولون: رب فيهم فلان عبدٌ خطاء إنما مرّ فجلس معهم؟ قال فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

□ **صلاتهم على المؤمنين وخاصة أهل العلم منهم:**

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[١].

وعن أبي أمامة أن رسول الله قال: **«إن اللَّه وملائكته وأهل السموات والأرض يصلون على معلم الناس الخير»**[٢].

□ **تبريكهم أهل العلم وتواضعهم لهم:**

عن أبي الدرداء أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع»[٣].

□ **حملهم البشريات:**

روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«زار رجل أخاً له في قرية أخرى، فأرصد اللَّه له على مدرجته[٤] ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها[٥]؟ قال: لا، غير أني أحببته في اللَّه عزّ وجل، قال: فإني رسول اللَّه إليك بأن اللَّه قد أحبك كما أحببته فيه».

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

(٤) مدرجته: طريقه.

(٥) تصلحها.

□ إعلانهم عمن يحبه اللّه وعمن يبغضه:

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام:

«إن اللّه إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال:

«إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن اللّه يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض.

«وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول:

«وإني أبغض فلاناً، فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن اللّه أبغض فلاناً فأبغضوه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض» [(١)].

□ كتابتهم الأعمال:

وهم يكتبون أعمال الإنسان، ويحصون عليه حسناته وسيائته.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ [(٢)] مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [(٣)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) قال الحسن في قول اللّه «عن اليمين وعن الشمال قعيد»: يا ابن آدم: بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان: أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك: فأما الذين عن يمينك، فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل، أو أكثر. حتى إذا مت طويت صحيفتك، وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه»... الآية ثم يقول الحسن: عدل واللّه فيك من جعلك حسيب نفسك.

(٣) سورة ق، الآيتان: ١٦ و١٧.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾[1].

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝٧٩ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾[2].

ويسجلون هذه الأعمال عندهم في سجل لكل فرد، ثم تعرض يوم الحساب:

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۝١٣ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾[3].

وفي أثناء العرض يشهدون على ما عمل الإنسان من خير أو شر:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾[4].

□ تثبيت المؤمنين:

وهم يثبتون المؤمنين بما يلقونه في قلوبهم من التأييد:

(١) سورة الانفطار، الآيات: ١٠، ١٢.
(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٧٩، ٨٠.
(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٤) سورة ق، الآيات: ٢٠، ٢٢.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1].

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾[2].

□ وهم موكلون بقبض الأرواح:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾[3].

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[4].

□ وهم يحيّون الطيبين تحية طيبة عند قبض أرواحهم:

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ﴾[5].

□ ويبشرونهم بالجنة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[6].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ١٢.

(٢) المقصود بالروح هنا روح القدس وهو جبريل. سورة المجادلة، آية: ٢٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٦١.

(٤) سورة السجدة، آية: ١١.

(٥) سورة النحل، آية: ٣٢.

(٦) سورة فصلت، الآيات: ٣٠، ٣٢.

أي إن الذين آمنوا باللّه إيماناً حقاً، واستقاموا على الطريق الذي رسمه لعباده، فإن الملائكة تنزل عليهم عند الموت وتقول لهم: لا تخافوا مما أمامكم من أهوال القبر وعذاب الآخرة، ولا تحزنوا على ما تركتم وراءكم من أموال وأولاد، وأبشروا بالجنة التي وعدكم اللّه بها...

بينما يمتهنون الفسقة، ويضربون وجوههم وأدبارهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾[1].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾[2].

□ الإيمان بالملائكة:

وإذا كان هذا هو شأن الملائكة في عالم الروح ودورهم الإيجابي في الكون والطبيعة، وإذا كانت هذه هي صلتهم بالإنسان في هذا العالم، وفي العالم الذي يأتي بعده، كان من الواجب الإيمان بوجودهم، ومحاولة الاتصال بهم عن طريق تزكية النفس وتطهير القلب وعبادة اللّه عبادة خاشعة.

وفي الاتصال بالملائكة سموّ للروح وتحقيق للحكمة العليا التي خلق الإنسان من أجلها، وهي أداء أمانة الحياة، والقيام بالخلافة عن اللّه في الأرض.

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٧.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٥٠.

ولهذا كان الإيمان بالملائكة من البر، ومن دلائل الصدق والتقوى.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[1].

إن الإيمان لا يكون له حقيقة إلا إذا آمن الإنسان بهذا العالم الروحي إيماناً لا يتطرق إليه الشك، ولا تتسرب إليه الظنون.

وهذا هو نهج الأنبياء والمؤمنين الذين انكشفت الحقائق أمام أبصارهم، فأدركوا من الكون ما لم يدركه الغافلون.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[2].

إن هذا العالم الغيبي لا يدرك بالحس ولا بالعقل، بل إن الشياطين لا يمكنهم الوصول إليه:

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾﴾[3].

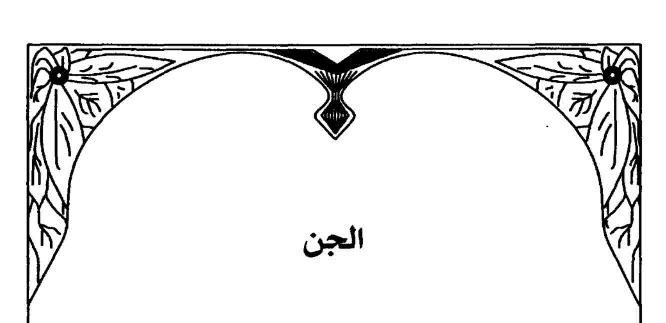
وسبيل معرفته هو الوحي لأنه غيب من الغيوب.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[4].

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.
(٣) سورة الصافات، آية: ٨.
(٤) سورة ص، الآيات: ٦٥ ـ ٦٧.

وكل ما يجب الاهتمام به أن نؤمن بهم، ونرعى حق صحبتهم ونوثق صلتنا بهم كما أرشد الرسول:

«إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع، فاستحيوهم، وأكرموهم».



الجن

* من هم؟
* طريق العلم بهم.
* المادة التي خلقوا منها.
* طوائفهم.
* الجن مكلفون كالبشر.
* استماعهم القرآن من الرسول.
* الجن لا يعلم الغيب.
* تسخير الجن لسليمان.
* إبليس والشياطين.
* كل إنسان معه شيطان.
* الإعراض عن هداية اللَّه يمكّن للشيطان.
* التحذير من عداوة الشيطان.
* لا سلطان للشيطان على المؤمنين.
* مقاومة الشيطان.
* حكمة خلق إبليس.

الجن نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية، مستترون عن الحواس لا يُرَوْنَ على طبيعتهم، ولا بصورتهم الحقيقة، ولهم قدرة على التشكّل.

□ طريق العلم بهم:

والطريق الذي يوصلنا إلى العلم بهذا العالم هو الوحي، وقد هدانا الكتاب والسُّنة الصحيحة عن أصل المادة التي خلقوا منها، وعن طوائفهم، وعن مصير كل طائفة، وعن تكليفهم واستماعهم القرآن من الرسول صلوات اللّٰه وسلامه عليه.

□ المادة التي خُلقوا منها:

يقول اللّٰه سبحانه وتعالى في أصل المادة التي خُلِق منها الجانّ:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾[1].

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

والآيتان تدلان على:

١ - أن الإنسان في أول أمره خلق من تراب، ثم عجن بالماء، فصار طيناً، ثم مكث حتى صار حمأ[١] مسنوناً، ثم يبس هذا الحمأ المتغير الرائحة حتى صار صلصالاً[٢].

٢ - وأن الجان في أول أمره خلق من نار لا دخان فيها؛ لأن السموم هو لهب النار الخالص.

٣ - وأن خلق الجان سابق لخلق الآدميين.

□ طوائف الجن:

والجن طوائف:

فمنهم الكامل في الاستقامة والطيبة وعمل الخير.

ومنهم من هو دون ذلك.

ومنهم البُلْه المغفلون.

ومنهم الكفرة، وهم الكثرة الكاثرة.

يقول اللّه سبحانه في حكايته عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن:

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ⑪﴾[٣].

---

(١) الحمأ طين أسود متغير ريحه من طول مجاورته للماء.

(٢) أي يظهر صوته إذا نقر عليه.

(٣) سورة الجن، آية: ١١.

أي أن منهم الكاملين في الصلاح، ومن هم أقل صلاحاً، فهم مذاهب مختلفة كما هو الحال عند البشر.

ويقول اللَّه عنهم:

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[1].

أي أن منهم المسلمين، ومنهم الظالمين أنفسهم بالكفر، فمن أسلم منهم فقد قصد الهدى بعمله، ومن ظلم نفسه فهو حطب جهنم.

□ الجن مكلفون كالبشر:

والجن مكلفون كالإنس ورسلهم من البشر: يقول اللَّه سبحانه:

﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾[2].

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾[3].

ومعنى الآيات: سنفرغ لكم لنحاسبكم حساباً دقيقاً لا يشغلنا عن ذلك شيء يا أيها الثقلان.

---

(١) سورة الجن، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٣٠.

(٣) سورة الرحمن، الآيات: ٣١، ٣٤.

والثقلان مثنى ثقل وهما، الجن والإنس.

يا جماعة الجن والإنس إن قدرتم أن تفروا من جانب من جوانب السموات والأرض للهرب من الحساب ففروا، واهربوا، ولكن لن تستطيعوا ذلك إلا بالقوة التي تفوق قوة اللَّه، وذلك لا يكون لاستحالته.

□ استماعهم القرآن من الرسول:

وقد حضر وفد من الجن، وسمعوا القرآن من النبي صلوات اللَّه وسلامه عليه، ولم يرهم وقت وجودهم، ولم يعلم بحضورهم.

وفي ذلك يقول اللَّه سبحانه:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾[1].

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنه قال:

«ما قرأ رسول اللَّه ﷺ على الجن، ولا رآهم. انطلق ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: مالكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسل علينا

---

(١) سورة الأحقاف، الآيات: ٢٩، ٣٢.

الشهب. قالوا: ما ذلك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا تهامة النبي ﷺ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم وقالوا: «يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشدِ فآمَنَّا به ولن نُشْرِكَ بربِّنا أحداً» فأنزل اللّٰه تعالى على نبيه ﷺ:

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.

وقال الحافظ البيهقي: وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي اللّٰه عنهما، إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة لرسول اللّٰه ﷺ وعلمت حاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم، ولم يرهم، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن، فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى اللّٰه عزّ وجل... انتهى.

وهذا يشير إلى ما رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي عن علقمة قال: قلت لابن مسعود: هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكن قد افتقدناه ذات ليلة، وهو بمكة فقلنا: اغتيل، أو استطير، ما فعل به؟ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، حتى إذا أصبحنا، أو كان في وجه الصبح، فإذا نحن به يجيء من حراء، قال: فذكروا له الذي كانوا فيه؛ فقال: أتاني داعي الجنة، فأتيتهم، فقرأت عليهم، فانطلق، فأرانا أثرهم وأثر نيرانهم، وسألوه الزاد، فقال: لكم كل عظم ذكر اسم اللّٰه عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم[١].

---

(١) رواه الشيخان والترمذي والنسائي والبيهقي.

□ الجن لا علم له بالغيب:

عالم الغيب مما استأثر اللَّه به، واللَّه لا يطلع أحداً على غيبه، إلا إذا أراد أن يبلغ من ارتضاه من رسله ما يريد إبلاغه للناس.

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾[1].

أي أنه يجعل حرساً حول هذا الرسول الذي أطلعه على بعض الغيب المتعلق برسالته، وهذا الحرس من الملائكة والشهب لحفظ هذا الغيب من تلاعب الشياطين.

وفي قصة سليمان يقول القرآن الكريم:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[2].

□ تسخير الجن لسليمان عليه السلام:

واللَّه سبحانه سخّر الجن لسليمان، ولم يحدث ذلك لغيره فيما نعلم:

---

(١) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة سبأ، آية: ١٤.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) [1] وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ [2] (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ [3] (٣٨) هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [4].

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [5].

وطلب سليمان من جلسائه أن يأتيه أحد منهم بعرش بلقيس، فقال:

﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ (٣٩)﴾ [6].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«إن عفريتاً من الجن تفلّت البارحة؛ ليقطع عليّ صلاتي، فأمكنني اللَّه منه، فأخذته، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: «رب هب مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي»، فرددّته خاسئاً».

---

(١) أصاب: أراد.
(٢) غواص في البحار لاستخراج اللؤلؤ.
(٣) مربوط بعضهم مع بعض في السلاسل.
(٤) سورة طه، الآيات: ٣٦، ٣٩.
(٥) سورة سبأ، الآيتان: ١٢، ١٣.
(٦) سورة النمل، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

□ إبليس والشياطين:

إبليس اسم أعجمي، ولهذا كان ممنوعاً من الصرف، وقيل: إنه عربي مشتق من الإبلاس، وهو اليأس من رحمة اللَّه، أو الإبعاد عن الخير. ومنع من الصرف لأنه لا نظير له في الأسماء، أو لأنه يشبه الأسماء الأعجمية.

وهو أبو الشياطين[1]، وأصلهم الأول[2].

والشياطين هم المتمردون من عالم الجن.

وإذا كانت الملائكة هم جُند اللَّه الذين يمثلون الخير والفلاح والصلاح، فإن إبليس ومن معه من الشياطين هم أعداء اللَّه الذين يمثلون الشر والفساد، فأعمال الملائكة والشياطين على طرفي نقيض.

إذ أن أعمال الملائكة تتجه أول ما تتجه إلى عبادة اللَّه، وترقية الحياة، وتنظيم أمر هذا الوجود، وإقامة معالم النظام، وهي تعمل دائماً على التأليف والتجميع والتنسيق، وهداية الإنسان إلى الحق، ودعاء اللَّه أن يغفر له سيئاته ويحفظه منها.

أما أعمال الشياطين فهي تتجه دائماً إلى التمرّد على اللَّه، وإلى التفريق والتمزيق والتخريب والتدمير، وقطع ما أمر اللَّه به أن يوصل،

---

(١) الشياطين جمع شيطان، والشيطان كل متمرد من الإنس أو الجن أو الحيوان، والمقصود بهم هنا المتمردون من عالم الجن.

(٢) وهو سيبقى إلى يوم القيامة، فقد طلب إنظاره فأجابه اللَّه «إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم»، وله ذرية: «أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني». الكهف.

ووصل ما أمر اللَّه به أن يقطع فما من شر في الأرض، ولا فساد في الوجود إلا ولهم به صلة.

وهم الذين زيّنوا للأمم السابقة سوء العمل، وحسنوا لهم الكفر والمعاصي، ودعوهم إلى تكذيب الرسل ومخالفة أوامر اللَّه، ولا تزال هذه أعمالهم.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[١].

وعن عياض المجاشعي، رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ، قال ذات يوم في خطبته:

«ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتهم مما علمني يومي هذا، كل مال نخلته عبداً حلال [٢] وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم [٣] وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم [٤] وحرَمت عليهم ما أحللت لهم [٥]، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن اللَّه نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عُربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل

---

(١) سورة النحل، آية: ٦٣.

(٢) أي وقال ربي كل مال أعطيته لعبدي من طريق مشروع فهو حلال له كمنحة من ذي سلطان وهدية من بعض الناس وصناعة وزراعة ووظيفة ونحوها فلا تحرموا على ما لم يحرم اللَّه عليكم.

(٣) أي على الفطرة مستعدين لقبول الهداية.

(٤) ذهبت بهم للباطل.

(٥) من الأنعام كالبحيرة ونحوها.

الكتاب[1]، وقال إنما بعثتك لأبتليك، وأبتلي بك[2] وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان»[3].

فالشياطين هي التي دعت إلى تحريف الدين، والخروج على الفطرة، وإلى الإشراك باللَّه، وحرمت الحلال، وأحلت الحرام، ولا تزال الشياطين تقعد للإنسان بكل طريق صادة عن سبيل اللَّه ومحاولة صرفه عن جلائل الأعمال.

ففي حديث سبره بن فاكه أن رسول اللَّهﷺ قال:

«إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق:

فقعد له بطريق الإسلام فقال أتسلم، وتترك دينك ودين آبائك؟ فعصاه وأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر؟ أتدع أرضك وسماءك؟ فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال، فتقاتل، فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك؟ فعصاه وجاهد.

وقال رسول اللَّهﷺ : **فمن فعل ذلك، فمات كان حقاً على اللَّه أن يدخله الجنة».**

---

(١) نظر إلى أهل الأرض فغضب عليهم غضباً شديداً قبل بعثة نبينا محمد ﷺ إلا فريقاً من أهل الكتاب الأول لم يغيروه.

(٢) لابتليك هل تقوم بحق الرسالة أولاً وأبتلي بك الناس هل يؤمنون بك أو يكفرون.

(٣) لا يغسله الماء لأنه ليس في صحف بل محفوظ في الصدور يقرأ في كل حال.

والشيطان هو الذي قام بدور رئيسي في القضاء على دعوة الإسلام في أول صدام له مع أعدائه.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾[1].

وهذا الشيطان هو الذي يزين لكل فرد ما تهفو إليه نفسه، ويميل إليه هواه من حب للجنس، أو طمع في المال، أو حرص على المنصب، أو تطلع إلى الجاه، أو إيثار للاستبداد، أو ميل إلى الطغيان، بل إنه ليتسلط على المتدينين أنفسهم، ليزيدوا في شرع اللَّه أو ينقصوا منه، ليطوِّعوا الدين لأهوائهم، ويخضعوه لشهواتهم.

وهو الذي يغري بالعداوة والبغضاء بين الناس، فيفرق بين الأخ وأخيه، وبين الزوج والزوجة، وبين طوائف الأمة وجماعاتها.

وهو الذي يوقد نيران الحروب بين الأمم والشعوب، وينفخ فيها لتهلك الحرث والنسل، وتأتي على الأخضر واليابس.

وكلما كان الشيطان أقدر على الشرِّ كان أقرب منزلة وأعلى قدراً لدى رئيسه إبليس لعنه اللَّه.

عن جابر عن النبي ﷺ قال:

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٤٨.

«إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة... يجيء أحدهم، فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرّقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول نعم أنت».

إن الفساد الجنسي، والفساد الخلقي، والفساد الاجتماعي، والفساد السياسي، والفساد الاقتصادي، وكل ما يعانيه الإنسان من فتن وويلات إنما هو من نتاج إبليس وجنوده الأشرار.

□ كل إنسان معه شيطان [(١)]:

وكما أمدّ اللّه الإنسان بملك يهديه، ويؤيده فإنه كذلك يمده بشيطان يوسوس له ويزين له السوء، ويغريه بالمنكر، ويدعوه إلى الفتنة، يستوي في ذلك الأنبياء وغيرهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [(٢)].

وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: «خرج النبيﷺ من عندي ليلاً، فغرت عليه، فجاء، فرأى ما أصنع، فقال مالك يا عائشة أغرتِ؟

---

(١) ليس في العقل ولا في العلم ما يمنع من روح شرير يحاول إغواء بني آدم ليبتلوا به في حياتهم، والعالم الروحاني عالم واسع، وقد ثبت وجوده علمياً، وقد مر على البشر قرون وأزمان وهم يجهلون الميكروبات وأثرها في حياتهم، ثم اكتشفوها أخيراً، فهل حينما كانوا يجهلونها كانت غير موجودة، إن الجهل بالشيء لا يعني عدم وجوده.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١١٢.

قلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال: أقد جاءك شيطانك؟ قلت: يا رسول اللَّه أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان شيطان؟ قال نعم، قلت: ومعك يا رسول اللَّه؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم»[1].

وعن عبد اللَّه بن مسعود عن النبي ﷺ قال:

«ما منكم من أحد إلا وقد وكّل به قرين من الجن. قالوا: وإياك يا رسول اللَّه؟ قال: وإياي إلا أن اللَّه أعانني عليه، فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»[2].

□ الإعراض عن هداية اللَّه يمكِّن للشيطان:

والشيطان لا يتمكن من نفس الإنسان إلا إذا أعرض عن هداية اللَّه، وخرج عن المنهج المرسوم.

فإذا أعرض الإنسان عن الطريق المرسوم له عاقبه اللَّه بتمكين الشيطان منه، فيوجهه وجهة الشر والفساد في كل قول وفي كل فعل.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾[3].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) سورة الزخرف، الآيات: ٣٦، ٣٩.

ومع التمادي في الغي والضلال يستحوذ الشيطان على النفس الإنسانية، ويستولي عليها استيلاء كاملاً؛ حتى يبلغ الإنسان أن يكون جندياً لإبليس، أو عضواً في جماعة الشياطين.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

وحين يصل الإنسان إلى هذا المستوى، ويهبط إلى هذا الدرك يكون قد بلغ النهاية في الانحطاط الروحي والكفر بذخائر النفس.

وفي هذا الدرك تحتل المقاييس، وتضطرب الموازين، وتلتبس الحقائق، ويعلو سلطان الباطل، وتسود شريعة الغاب، ويتعادى الناس تعادي الحيوانات المفترسة، ويصبح الإنسان وهو أبدع ما أنشأته العناية الإلهية أداة من أدوات الشر والفساد، وعاملاً من عوامل الهدم والتخريب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾[2]..

بل يصل الإنسان إلى الحالة التي يتبرأ الشيطان فيها منه.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[3].

---

(١) سورة المجادلة، ١٩.

(٢) سورة مريم، آية: ٨٣. أي تغريهم بالمعاصي إغراء وتزعجهم إليها ازعاجاً شديداً.

(٣) سورة الحشر، آية: ١٦.

□ التحذير من عداوة الشيطان:

إن الشيطان يمثل الشر في الأرض، ويعمل دائباً على تدمير حياة الإنسان بزحزحته عن هداية اللَّه، وإبعاده عن منهج الحق والرشاد.

لهذا حذّرنا اللَّه من كيده، وأخبرنا بعداوته، ودعا إلى مقاومته بكل وسيلة حتى يضعف سلطانه، وتخف شروره وآثامه، فقال:

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[1].

وقصّ علينا من عداوته لأبينا آدم عليه السلام ما فيه العظة البالغة، فقد استطاع أن يُغريه بالأكل من الشجرة، وأن يخرجه من الجنة بكذبه وخداعه، وأن يوقعه في مخالفة أمر اللَّه وارتكاب نهيه، ثم قال عقب ذلك:

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾[2].

وبيّن للإنسان ما أخذه الشيطان على نفسه منذ خصومته لآدم، أنه سيقعد على الصراط المستقيم يغوي الناس ويضلهم. قال:

﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ[3]

---

(١) سورة فاطر، آية: ٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٧.

(٣) أتصرف فيهم بالوسوسة.

لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ[1] مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ[2] وَأَجْلِبْ[3] عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[4].

وفي سورة الأعراف يقول الله تعالى:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ[5] ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ[6] وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[7].

وكان حكمه هذا ظناً وقد تحقق:

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[8].

وفي سورة النساء يقول الله سبحانه:

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ[9] إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا

---

(١) الاستفزاز: الحث بشدة.

(٢) وسوستك.

(٣) أي صح عليهم بجندك مشاة وراكبين.

(٤) سورة الإسراء، الآيات: ٦٢ ـ ٦٥.

(٥) أي على الصراط وهو طريق الله.

(٦) أي لا يترك جهة إلا هجم عليهم منها.

(٧) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ و١٧.

(٨) سورة سبأ، آية: ٢٠.

(٩) أصنام ذات أسماء مؤنثة ـ اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

مَرِيدًا[1] ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا[2] ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ[3] وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ[4] فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ[5] وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ[6] وَيُمَنِّيهِمْ[7] وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[8].

ويعلمنا أن الشيطان جاد في إلقاء خواطر السوء، ومتهم بتقوية دواعي الشر والباطل في النفس الانسانية.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[9].

أي أن الشيطان يوسوس للإنسان، ويلقي في نفسه بأن الإنفاق

---

(١) شديد التمرد والخروج على الطاعة.

(٢) معيناً ومختماً استيلاؤه عليه.

(٣) أضلنهم عن الحق بالوسوسة.

(٤) أي أن الشيطان حلف أن يأمر أتباعه بقطع آذان الأنعام تعظيماً للأصنام وكان الوثنيون يقطعون أذن الناقة ويشقونها إذا ولدت خمس بطون وجاءت في المرة الخامسة بذكر، وكان ذلك علامة على أنه ملك للأصنام لا تركب ولا ينفع بها أحد.

(٥) أي يأمرهم بسوء التصرف فيتغير خلق اللّه ولا سيما الدين الذي هو فطرة.

(٦) يعدهم بالفقر إذا أنفقوا في سبيل اللّه وبالغنى إذا غشوا ولعبوا القمار مثلاً ونحو ذلك.. ويمنيهم الباطل الذي لا حقيقة له. وما يعدهم في الحقيقة إلا بما يغر ويضر وليس له أصل ولا نفع.

(٧) يشغلهم بالأماني الباطلة كطول العمر وعدم البعث والجزاء على العمل حتى يغفلوا عن الاستعداد للقاء اللّه.

(٨) سورة النساء، الآيات: ١١٧ ـ ١٢٠.

(٩) سورة البقرة، آية: ٢٦٨.

يذهب بالمال، ويأمره بالإمساك والبخل والحرص على المال ومنع الزكاة.

ومن ثم كان من الواجب الحذر منه، واتقاء شروره وآثامه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾[2].

ومن أبلغ ما ذكره القرآن في الترهيب من متابعة الشيطان ما جاء في سورة الأنعام: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ﴾[3].

أي أن اللّه يقول يوم الحشر للجن وقد استكثرتم من إغواء الإنس، وقال أتباعهم من الإنس: ربنا استمتع بعضنا ببعض أي استمتع الجن بالإنس حيث قادوهم، وأخضعوهم لسلطانهم، فكانت لهم لذة السيطرة ومتعة الرياسة، واستمتع الإنس بالجن حيث زينوا لهم الشهوات أو دلوهم عليها، واستمر هذا الاستمتاع حتى بلغوا الأجل المقدّر لهم.

وفي مشهد من مشاهد القيامة يميّز اللّه فيه المجرمين، ويوجه إليهم الخطاب ناعياً عليهم طاعته للشيطان وعبادتهم له.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨ و١٦٩.

(٢) سورة النور، آية: ٢١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٢٨.

﴿وَامْتَازُوا[1] الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59) ۞ أَلَمْ[2] أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا[3] الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ[4] (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62)﴾[5].

وفي مشهد آخر من مشاهد القيامة يخطب الشيطان في أتباعه موقعاً اللوم عليهم في ضلالهم ومتابعتهم له.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)﴾[6].

قال ابن كثير: يخبر اللّٰه تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعد ما قضى اللّٰه بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم إبليس لعنه اللّٰه يومئذ خطيباً؛ ليزيدهم حزناً إلى حزنهم، وغماً إلى غمهم، وحسرة إلى حسرتهم، فقال: «إن اللّٰه وعدكم وعد الحق» على ألسنة رسله، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة، وكان وعداً حقاً وخبراً صادقاً، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم، كما قال

---

(١) انفردوا.

(٢) العهد: الوصية.

(٣) عبادة الشيطان طاعته والاستجابة له.

(٤) جبلا أقواماً.

(٥) سورة يس، الآيات: ٥٩، ٦٢.

(٦) سورة ابراهيم، آية: ٢٢.

اللَّه تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾.

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ﴾.

أي ما كان لي عليكم فيما دعوتم إليه دليل، ولا حجة فيما وعدتكم به إلا أن دعوتكم، فاستجبتم لي بمجرد ذلك، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاؤوكم به، فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه «فلا تلوموني» اليوم «ولوموا أنفسكم» فإن الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج، واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل «ما أنا بمصرخكم» بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه، «وما أنتم بمصرخي» بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال «إني كفرت بما أشركتموني من قبل» قال قتادة: أي بسبب ما أشركتموني من قبل. وقال ابن جرير: يقول إني جحدت أن أكون شريكاً للَّه عزّ وجل.. وهذا الذي قاله هو الراجح.. وحين يقف الإنسان وقرينه أمام الله. في الآخرة يقول الإنسان: يا رب هذا أضلني عن الذِّكر بعد إذ جاءني، فيقول شيطانه الذي وكل به: «ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد» فيقول اللَّه:

﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ[1] وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾[2].

---

(١) أي لا تختصموا عندي فقد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل وأنزلت إليكم الكتاب وقامت عليكم الحجج والبراهين.

(٢) سورة ق، الآيتان: ٢٧ و٢٩.

□ لا سلطان للشيطان على المؤمن:

والإيمان يفيض على النفس إشراقاً، ويملأ القلوب نوراً، وإذا أشرقت النفس واستنار القلب انمحى كل ما يوسوس به الشيطان.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾(١).

وإذا ألمّ بالقلب الموصول باللّه من مس الشيطان شيء فسرعان ما يستيقظ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾(٢).

وقد استطاع الشيطان أن يغري آدم بالأكل من الشجرة، وأن يوقعه فيما حظره اللّه عليه، وأن يحرك في نفسه بواعث الهوى ودواعي الشر إغراء وخداعاً.

﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٩٨، ١٠٠، ففي الآية الأولى نفى سلطانه على المؤمنين المتوكلين. وفي الثانية أثبت سلطانه على من تولاه وعلى أهل الشرك.. والمقصود بالسلطان الطريق الذي يتسلط به على الغير بالإغواء والإضلال.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٠١.

﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ (١).

إلا أن نوازع الخير ودواعيه تيقّظت في قلب آدم وحواء، وعلما أنه خدعهما بهما، فتغلبت هذه النوازع والدواعي على وسوسة الشيطان وحظه من النفس، فتابا إلى الله، وأنابا قائلين:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (٢).

فقبل اللّه توبتهما واستجاب دعاءهما:

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ (٣).

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ (٤).

وبالتوبة والإنابة إلى اللّه تغلب جانب الخير على جانب الشر، ومتى تغلّب جانب الخير على جانب الشر في نفس الإنسان تعرض لهداية اللّه، وكان أهلاً للاجتباء والاصطفاء.

واللّه لم يذكر لنا هذه القصة إلا لتكون مثلاً حيّاً لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان، فالإنسان لم يخلق ملكاً منزّهاً عن النقائص، وإنما خلق وعنده استعداد للبر والإثم، والصواب والخطأ، والخير والشر، والطاعة والمعصية، والتقوى والفجور.

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٢٠، ٢٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٧.

(٤) سورة طه، الآيتان: ١٢١، ١٢٢.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[1].

والإنسان بمقتضى خلافته عن اللَّه في الأرض مكلف بأن ينمي في نفسه معاني البرِّ والصواب والخير والطاعة والتقوى، وأن يقاوم نوازع الإثم والخطأ والشر والفجور حتى يبلغ الكمال الروحي الذي أراده اللَّه له.

وفي هذه المعركة يتدخل الشيطان؛ ليصرف الإنسان عن تنمية قواه العليا من جانب، وليضعف من روح المقاومة بطريق الخداع والإغراء والتزيين من جانب آخر.

ومن ثم كان واجباً على الإنسان أن يحذر مكايد الشيطان ويعرف أساليبه التي يتخذها، ليصرف الإنسان عن وظيفته الأولى في هذه الحياة.

فإذا زلّت به قدم، أو تورط في الإثم، أو جانبه صواب، أو مارس شرّاً، أو اقترف معصية، أو ارتكب فجوراً، فأمامه السبيل الذي رسمه له أبوه آدم من التوبة، واستئناف حياة أزكى وأطهر.

وبهذا يخلص الإنسان من سلطان الشيطان وسيطرته عليه.

□ مقاومة الشيطان:

إن اللَّه لم يذكر في القرآن النفس الأمّارة بالسوء، ولا النفس اللّوامة إلا مرة واحدة، ولكنه ذكر الشيطان وكرر التحذير منه في صور متنوعة، وما فعل ذلك إلا ليكون الإنسان منه على حذر؛ كي لا يضل،

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٧، ٨.

ولا يشقى، ذلك أن عمل الشيطان في النفس مثل عمل الميكروب في الجسم، والميكروب ينتهز فرصة ضعف الجسم فيهجم عليه محاولاً القضاء عليه والفتك به، ولا خلاص للجسم من عمل الميكروب إلا إذا كانت له حصانة، وفيه مناعة تبطل عمل الميكروب، وتقضي على ضراوته.

وكذلك الشيطان ينتهز فرصة ضعف النفس ومرضها، فيهجم عليها محاولاً إفسادها.

ولا خلاص منه إلا إذا صحّت النفس من أمراضها، التي هي المداخل الحقيقية للشيطان ووسوسته.

وأمراض النفس التي هي مداخل الشيطان هي نقائص الإنسان التي يجب عليه أن يتخلص منها حتى لا يكون للشيطان سبيل عليه، وهذه الأمراض أو هذه النقائص هي على سبيل المثال لا الحصر[1]: الضعف، واليأس، والقنوط، والبطر، والفرح، والعجب، والفخر، والظلم، والبغي، والجحود، والكنود والعجلة، والطيش، والسفه، والبخل، والشح، والحرص، والجدل، والمراء، والشك، والريبة، والجهل، والغفلة، واللدد في الخصومة، والغرور، والادعاء الكاذب، والهلع، والجزع، والمنع، والتمرد، والعناد، والطغيان، وتجاوز الحدود، وحب المال والافتنان بالدنيا، فهذه هي أمراض النفس، وبواسطتها يتدخل الشيطان ليدمر حياة الإنسان، وليزحزحه عن فضائله العليا، ولا سبيل إلى طرده ومعالجة وسوسته وإغرائه إلا إذا عولجت النفس أولاً عن

(١) يراجع كتابنا «عناصر القوة».

طريق المجاهدة حتى تبرأ من هذه الأمراض جميعها، وتعود إليها الصحة والعافية، وتكون نفساً مطمئنة بالحق والخير.

وحينئذ يكون ذكر اللّه، والاستعاذة به من الشيطان، والتبري من الحول والقوة، وإسلام الوجه لقيوم السموات والأرض مما يقوّي من معنويات الإنسان، ويرفع من مستواه الروحي، حتى يصل الإنسان إلى درجة يخاف فيها الشيطان من أن يلقاه في طريق من الطرق. كما حدث لعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه..

روى البخاري ومسلم أن رسول اللّه ﷺ قال لعمر:

«يا بن الخطاب ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً[1] إلا سلك فجّاً غير فجّك».

إن سعادة الإنسان لا تتم إلا بكبح جماح النفس، والتغلب على هواها باتباع وحي اللّه، ومحاربة نزعات الشيطان.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾[2].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾[3].

---

(١) فجاً: طريقاً.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧ ـ ٩٨.

(٣) سورة الناس.

□ حكمة خلق إبليس:

وقد يقال لِمَ خلق اللّه إبليس يوسوس بالشر، ويدعو إلى محادة اللّه ومحاربة تعاليمه، وقد أجاب عن ذلك بعض العلماء فقال:

إنه يظهر للعباد قدرة اللّه على خلق المتضادات المتقابلات. فخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات وسبب كل شر، في مقابلة ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها. وهي سبب كل خير، فتبارك اللّه خلق هذا وهذا. كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والدواء والداء، والحياة، والموت. والحسن والقبيح، والخير والشر، وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه، فإنه خلق هذه المتضادات، وقابل بعضها ببعض وجعلها مجال تصرفه وتدبيره. فخلو العالم عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبيره مملكته.

ومنها ظهور آثار أسمائه القهرية: مثل القهار. والمنتقم. والعدل. والضار. والشديد العقاب. والسريع الحساب. وذي البطش الشديد. والخافض. والرافع. والمعز. والمذل. إن هذه الأسماء والأفعال كمالات لا بد من وجود متعلقها. ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

ومنها ظهور آثار أسمائه المتضمنة كلأه، وعفوه، ومغفرته، وستره، وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن يشاء من عبيده، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأشياء لتعطلت هذه الحكم والفوائد. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله:

«لو لم تذنبوا لذهب اللَّه بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم»[1].

ومنها ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، لا ينزله في غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه، وتمام حكمته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، واعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكر له جميل صنعه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك، فلو قرر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر.

ومنها حصول الطاعات المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن طاعة الجهاد من أحب أنواع الطاعات، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه الطاعة وتوابعها من الموالاة للَّه والمعاداة فيه، وطاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومخالفة الهوى وإيثار محاب اللَّه تعالى، والتوبة، والاستغفار والصبر، والاستعاذة باللَّه أن يجيره من عدوّه، ويعصمه من كيده وأذاه، إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

الفهرس

المقدمة

□ الإسلام إيمان وعمل ٩
□ مفهوم الإيمان أو العقيدة ١٠
□ لماذا كانت العقيدة واحدة وخالدة ١٢
□ منهج الرسل في غرس هذه العقيدة ١٥
□ الانحراف عن منهج الرسل وأثره ١٦

معرفة اللّٰه

□ وسيلة المعرفة ٢٣
□ المعرفة عن طريق العقل ٢٤
□ التقليد حجاب العقل ٢٥
□ ميادين التفكير ٢٦
□ غاية التفكير ٢٧
□ المعرفة عن طريق معرفة الأسماء والصفات ٢٨

□ اسم اللَّه الأعظم ٣٥

الذات الإلهية

□ العجز عن معرفة حقيقة الأشياء لا ينفي وجودها ٤٣
□ الطبيعة تؤكد وجود الخالق ٤٣
□ الفطرة دليل وجود اللَّه ٥٢
□ دلالة الواقع والتجارب ٥٣
□ التأييد الإلهي ٥٤
□ شواهد النقل ٥٤
□ لا سند للالحاح ٥٥

صفات اللَّه

□ الصفات السلبية ٦١
□ بدء الخلق في رأي علماء الشرع ٦٣
□ بدء الخلق في رأي علماء الفلك وطبقات الأرض ٦٤
□ ليس كمثله شيء ٦٦
□ الأحد ٦٨
□ الثالوث عقيدة وثنية ٧٠
□ الصفات الثبوتية ٧٧
□ القدرة ٧٧
□ الإرادة ٧٨

□ العلم ٧٩
□ الحياة ٨٠
□ الكلام ٨١
□ السمع والبصر ٨٢
□ صفات الذات وصفات الأفعال ٨٤
□ صفات اللَّه أعلام هادية ٨٥

حقيقة الإيمان وثمرته

□ ثمار الإيمان ٩٧

القدر

□ اللَّه فاعل مختار ١٠٧
□ معنى القدر ١٠٩
□ وجوب الإيمان به ١١٠
□ حكمة الإيمان بالقدر ١١١
□ حرية الإنسان ١١٥
□ تقرير الإسلام حرية الإرادة ١١٦
□ مشيئة الرب ومشيئة العبد ١٢٢
□ الهداية والإضلال ١٢٢

الملائكة

□ مم خُلقُوا ١٣٠

□ البشر أفضل منهم ١٣١
□ طبيعتهم ١٣٢
□ تفاوتهم ١٣٣
□ عملهم ١٣٥
□ عملهم الروحي ١٣٥
□ النزول بالوحي ١٣٦
□ عملهم في الطبيعة ومع الإنسان ١٣٨
□ تنشيط القوى الروحية الكائنة في الإنسان بإلهام الحق والخير .. ١٣٨
□ دعاء الملائكة للمؤمنين ١٣٩
□ تأمينهم مع المصلين ١٣٩
□حضورهم صلاة الفجر والعصر من كل يوم ١٤٠
□نزولهم عند قراءة القرآن ١٤٠
□ حضورهم مجالس الذكر ١٤١
□ صلاتهم على المؤمنين وخاصة أهل العلم منهم ١٤٣
□ تبريكهم أهل العلم وتواضعهم لهم ١٤٣
□ حملهم البشريات ١٤٣
□ إعلانهم عمن يحبه اللّٰه وعمن يبغضه ١٤٤
□ كتابتهم الأعمال ١٤٤
□ تثبيت المؤمنين ١٤٥
□ وهم موكلون بقبض الأرواح ١٤٦

□ وهم يحيّون الطيبين تحية طيبة عند قبض أرواحهم ١٤٦
□ ويبشرونهم بالجنة ١٤٦
□ الإيمان بالملائكة ١٤٧

الجن

□ طريق العلم بهم ١٥٣
□ المادة التي خُلقوا منها ١٥٣
□ طوائف الجن ١٥٤
□ الجن مكلفون كالبشر ١٥٥
□ استماعهم القرآن من الرسول ١٥٦
□ الجن لا علم له بالغيب ١٥٨
□ تسخير الجن لسليمان عليه السلام ١٥٨
□ إبليس والشياطين ١٦٠
□ كل إنسان معه شيطان ١٦٤
□ الإعراض عن هداية اللّه يمكِّن للشيطان ١٦٥
□ التحذير من عداوة الشيطان ١٦٧
□ لا سلطان للشيطان على المؤمن ١٧٣
□ مقاومة الشيطان ١٧٥
□ حكمة خلق إبليس ١٧٨


Bibliotheca Alexandrina
06233509